فاطمة
حورية الأرض

كمال السيد

دار النبلاء

فاطمة
حورية الأرض

بسم الله الرحمن الرحیم

فاطمة
حورية الأرض

«ان فاطمة خُلقت حورية»

دلائل الإمامة

كمال السيد

دار النبلاء

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

دار النبلاء

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك: شارع القسيس خلف البلدية . تلفاكس : ٠١/٥٤١٩٣٠

السلام علىٰ البتول

فاطمة الزهراء ..

بنت محمد النبي .

وزوج علي الوصي .

وأم السبطين .. الحسن والحسين .

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد .

الإهداء

إلى الضمير المسلم في كل مكان ..

من أجل أن نكتشف جميعاً ..

حقيقة أبطالنا ..

وأبطالنا الحقيقيين ..

مُقَدِّمَة

لم يـفرز التـاريخ الإسـلامي اهـتماماً كـما أفـرزه مـن إهـتمام بالسيدة فاطمة الزهراء ولم يتعامل بإجلال مثلما تعامل مـع تـلك السيدة الفريدة ؛ حتىٰ ظلّ اسمها وسيرتها فصلاً متألقاً في الذاكرة الإسلامية .

يُذكر اسمها فتتجسد كل معاني التبتّل والطهارة والنقاء ويرد ذكرها فتتمثل كلُّ خصال الإنوثة من رقةٍ وحشمةٍ وحياء .

عاشت في الأرض . .

ظهرت في سماء الإسلام كوكباً مضيئاً ، وغابت شمساً وقمراً .

واذا كان الموت وتطاول السنين يسلب الإنسان أيّاً كان وهـج الإسم وبريق الوجود فان الأمر علىٰ خلاف ذلك فيما يـخص سـيدة أهل البيت عليها السلام .

فما تزال فاطمة النموذج الذي قـدّمته السـماء لـلمرأة والمـثال الذي نحته الإسلام ونفخ فيه من روحه .

وسيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وهو يتحدث عن حورية الأرض ؛ انما يريد

ان يكشف عن الجزء السماوي في تكوين فاطمة ... الجزء الذي باركه الله وطهّره تطهيرا.

لقد اصطفىٰ الله مريم ابنة عمران، وقدّمها سيدةً لنساء عصرها.. واصطفىٰ فاطمة ابنة محمد ليقدّمها سيدة علىٰ مدىٰ كلٍّ العصور..

منذ ميلادها والىٰ آخر أُنثىٰ في تاريخ الإنسان تبقىٰ فاطمة السيدة الأولىٰ .. حورية الأرض لأهل الأرض والفتاة التي بلغت ذروة الكمال الإنساني في طريق بنات حواء.

كانت رمزاً للعفّة والطهر، وشعاراً للرقّة والعطف ونموذجاً للأمومة والخصب .. وكانت معلماً للإنسان ..

ليست بداية

الميلاد هو ليس لحظة البدء في حياة الإنسان . . انه بداية فصل جديد في تاريخه ، وما قبل ذلك إرهاصات وجذور . . ارهاصات تشبه مخاض السحب قبل أن تنهمر غيثاً ومطرا .

وفي حياة الزهراء فاطمة . . أسرار اكتشف الضمير الإنساني بعضها وظل البعض الآخر في غياهب المجهول . . مثل لؤلؤة في صدفة في قعر بحيرة رائقة .

ويحار المرء وهو يبحث عن بدء فاطمة . . عن البداية والجذور.. عن ارهاصات ذلك الحضور الانثوي . . لسيدة كل إمرأة في التاريخ .

كانت في الاسماء التي أُمتحن بها الملائكة[1] يوم عطس آدم وقال: الحمد لله رب العالمين.

---

(١) تفسير الميزان للطباطبائي ١٢٠/١.

ونوراً في الجنّة نظرت إليه حواء بعين فيها حسدٌ بشري بعد أن اكلت من الشجرة المحرّمة[١].

وكلمة تلقّاها آدم في الأرض من ربّه فتاب عليه واسماً مقدّساً توسّل به نوح يوم تدفّقت السماء بماء منهمر[٢].

والمسمار الثالث[٣] في سفينة الانقاذ البشري وكانت تشق عباب المياه الغاضبة..

حتىٰ اذا قيل: «يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت علىٰ الجودي» .. ظل اللوح المقدّس يقاوم عاديات الزمن ليظهر بعد آلاف السنين في جبل «قاف».

وكان اسم فاطمة مكتوباً بلغة شعب عاش قبل الطوفان[٤].

ان لفاطمة سرّاً مكتوماً.. سرّاً يعرفه إبراهيم الخليل

---

(١) المصدر السابق ١٤٤/١.

(٢) التكامل في الاسلام ـ أحمد أمين ٤٩/٧.

(٣) الأمان لابن طاووس /١١٩.

(٤) التكامل في الاسلام ـ أحمد أمين ٤٩/٧.

في اللحظة التي تلقىٰ فيها كلماتٍ من ربّه فأتمّهن[1].

وفاطمة هي الفتاة «المتسربلة بالشمس والقمر، تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً»[2].

وهـي التـى ستلد «ابناً ذكراً عتيداً يرعىٰ جميع الامم»[3].

«امـرأة فـاضلة.. وقـور.. ويأتـي النسل مـن هـذه المرأة»[4].

و «نسل هـذه المـرأة سيواجـه المـخاطر، والتـنين سيقاتل باقي نسلها الذين يعملون بوصايا الله»[5].

«الاكـليل الذي عـلىٰ رأس المـرأة اشـارة للـقيادة، والاثني عشر كوكباً هم اسماء الرسل»[6].

و «ان والد هذه المرأة هو محمد ﷺ وهو الشمس،

---

(١) الميزان ٢٧٩/١.

(٢) سفر الرؤيا ١/١٢.

(٣) المصدر السابق ٥/١٢.

(٤) تفسير الرؤيا /٢٧٢، يوم الدين ـ ستيفنسن /٨٧، ١٠٩.

(٥) سفر الرؤيا ١٢/١٦.

(٦) كشف المستقبل ـ هاملتون /٣٤، ٥١.

والقمر زوجها علي عليه السلام، وكان بحق قمراً في ليل فتنة احزنتنا كثيراً»[1].

وحده محمد صلى الله عليه وآله يعرف سرّ فاطمة.. وحده يعرف أسرار تلك السيدة يعرف البداية والظهور.. يعرف الجذور.

من ثمرٍ في الجنّة كانت البداية.. من تفّاحة وسفرجلة ومن كل ما انبتت تلك البقاعُ الخالدةُ في عالمٍ بعيد.. عالم لم يكتشفهُ سوىٰ الانبياء.

من هناك جاءت فاطمة.. حورية انسية، انها فتاة من الجنّة.. أو حورية من أهل الأرض.. هكذا قال محمد صلى الله عليه وآله.

في زمن الأسراء.. ولدت الزهراء.. في لحظات بعيدة عن الأرض بكل انشدادها.. بعيدة عن المادّة بكل ثقلها.. هناك انعقدت نطفة لمولود سيولد في الأرض..

فالعناصر التي كوّنت فاطمة سماوية وأرضية..

كائن طيني مضمخ بعبير جنّات الفردوس.

عناصر مسّتها السماء بالنور، فكانت فاطمة..

(١) عقيدة المسيح الدجّال ـ سعيد أيوب /١٠٠ ـ ١٠١.

النـموذج والمـثال.. نـموذج المـرأة الكـامل.. ومـثال الإنسان عندما يكون انثىٰ..

من أجل هذا كان مـحمدﷺ عندما يشـتاق الىٰ الجـنّة يقبّل فاطمة.. يشمّ أريج الزهراء.. فيها رائـحة الجـنّة.. نكهة التفّاح، وعبير السفرجل وطيب النخيل؛ وفيها لكـل الثمار الخالدة[1] حضور في ذلك الكائن الرقـيق.. الذي تجسّد في فاطمة..

---

(١) اخبار الدول للقرماني / ٨٧ / بغداد، ذخائر العقبىٰ للـطبري / ٣٦ / مـصر، ينابيع المودّة للشيخ سليمان / ٩٧ / اسلامبول، المستدرك للنيسابوري ٣ / ١٥٦ / حيدرآباد الدكن، مقتل الحسين للخوارزمي / ٦٣ / ط الغري، ميزان الاعتدال للذهبي ٢ / ٢٦ / حيدرآباد الدكن، منتخب كنزل العمال ١٣ / ٩٤ / حيدرآباد الدكن، مفتاح النجاح للبدخشي / ٩٨، لسان الميزان للعسقلاني ٤ / ٣٦ / حيدرآباد الدكن، تاريخ بغداد لابي بكر البغدادي ٥ / ٨٧ / مصر، نظم درر السمطين للزرندي / ١٧٧، مـجمع الزوائـد للـهيثمي ٦ / ٢٠٢ / القاهرة.

لؤلؤة في الاعماق

وتدبّ الحياة في احشاء الرحم.. وتتألق فاطمة في قلب الظلمات الثلاث كلؤلؤة مخزونة بالبريق السماوي.

بدأت فاطمة تنمو كلؤلؤة في حنايا صدفة؛ تألقت فاطمة جنيناً.. خفيفاً شفّافاً مليئاً بالنور.. حملاً مباركاً..

كانت خديجة تحسّه.. تستشعر السعادة فيه.. فاطمة في قلب خديجة في روحها.. لؤلؤة نقية في حنايا صَدَفة مليئة بالنور..

وينمو الجنين.. ومن اعماق الرحم تسمع خديجة جنينها يتحدّث.. كلمات طفولية تبدد وحشة القلق عن أم مالها من قرار.. عن زوجة عصفت بزوجها النوائب والأيام.

تريد أن تطفئ النور القادم من اغوار السماء.. خديجة خائفة قلقة حزينة فتقول فاطمة بلغة فيها طهر

الاجنّة المباركة : يا أماه ! لا تحزني . . ان الله مع أبي[1] !

---

(١) نزهة المجالس ٢ / ٢٢٧ / القاهرة ، ينابيع المودّة / ١٩٨ / اسلامبول ، تجهيز الجيش للمولوي / ٩٩ ، الروض الفائق / ٢١٤ / القاهرة .

المباركة

اطلّت لحظات الميلاد.. آن لفاطمة أن تتألق في السماء الدنيا، آن لحورية الأرض أن تولد.. أن تدبّ في الحياة لتبدأ رحلة العمر في كوكب الحوادث.. في الكوكب المفعم بالحياة.

وقال الأب العظيم للأم وقد بدأت آلام المخاض: هذا جبريل يبشرني انها انثىٰ[1].. امّاً لأحد عشر[2] كوكباً.

وفي ذلك الصباح المفعم بالأنوار.. كانت حجرة خديجة زاخرة بالسلام.. هدوء وسكينة.. وفرحة وانتظار.. فاطمة تطرق أبواب الدنيا..

وخديجة وهي تنوء بآلام المخاض تفكّر.. تفكّر فيمن تستدعي من القوابل.. وعلىٰ من ترسل من نسوة مكّة؟.

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/٢.

(٢) تجهيز الجيش/٩٩.

وفي لحظة مليئة بالنور زاخرة باجنحة الملائكة ولجت الحجرة نسوة أربعة[1] قدمن من أعماق التاريخ..

نسوة طاهرات وسيّدات ما خلق الله أفضل منهن جئن لمباركة خديجة.. ستولد سيدة النساء[2].. لها تسعة أسماء[3].

قالت إمرأة أنجبت في الأرض الأجيال البشرية.. امرأة تحملت آلام الميلاد البشري علىٰ سطح الكوكب.

قالت: انا امّك حواء..

وقالت إمرأة تحملت آلام الايمان.. آلام مواجهة الفرعون.. امرأة امتلأ قلبها بالنور قالت: أنا آسية

---

(١) ذخائر العقبىٰ / ٤٤ / مصر، وسيلة المآل / ٧٧ / دمشق، نزهة المجالس ٢ / ٢٢٧ / القاهرة، ينابيع المودّة / ١٩٨ / اسلامبول.

(٢) مسند الطيالسي / ١٩٦ / حيدرآباد، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ / ٢٦ / بيروت، خصائص النسائي / ١٢٤ / مصر، جواهر البحار للنبهاني ١ / ٣٦٠ / القاهرة، الاستيعاب لابن عبد البر ٢ / ٧٥٠ / حيدرآباد، حلية الاولياء ٢ / ٣٩ / مصر، مصابيح السنّة للبغوي ٣ / ٢٠٤ / مصر، تاريخ الذهبي ٢ / ٩٤ / مصر، الاصابة للعسقلاني ٤ / ٣٦٧ / مصر، كنز العمال ١٣ / ٩٥ / حيدرآباد، صلح الاخوان للنقشبندي الخالدي / ١١٦ / بومباي، الروض الأزهر للحنفي / ١٠٣ / حيدرآباد، ينابيع المودّة / ٢٦٠ / اسلامبول.

(٣) بحار الأنوار ٤٣ / ٢.

وقالت إمرأة ثالثة : أنا كلثوم أخت موسىٰ .. موسى ابن عمران .

وقالت السيدة الرابعة : أنا مريم .. أم المسيح عيسىٰ .. أنا العذراء البتول ..

قالت سيدات التاريخ : جئنا لنلي من أمرك ما يلي النساء(١) .. جئنا نبشرك بميلاد فاطمة .. سيّدة السيّدات .

وامتلأت حجرة خديجة بالنور .. وعبير الجنّة يدور في الفضاء؛ يملأ الصدور بالرضا والسعادة ..

وفي لحظة مفعمة بالألم المقدّس والعذابات .. عذابات المخاض والميلاد ظهرت لؤلؤة الجنّة طاهرة مطهّرة ..

ولدت فاطمة ساجدة .. رافعة أصبعها : ان الله واحدٌ لا شريك له(٢) .. وظهرت حوريات عشر يحملن الأباريق والمناديل البيضاء(٣) ..

وترقرت مياه الكوثر من أباريق الجنّة تسكبها أيادي بيضاء لفتيات لم يطمثهن انس ولا جان ..

وقالت حوّاء : خذيها ياخديجة طاهرة مطهّرة زكية

---

(١) نزهة المجالس ٢ / ٢٢٧ / القاهرة ، وسيلة المآل / ٧٧ / دمشق .

(٢) ينابيع المودّة / ١٩٨ / اسلامبول .

(٣) بحار الأنوار ٤٣ / ٢ .

بورك فيها وفي نسلها.

وفي اللحظة التي وضعت فيها خديجة حلمة الثدي في فم دقيق تفجّرت ينابيع الأمومة كأقوىٰ ما تكون..

لم تكن فاطمة لخديجة بنتاً فحسب.. كانت كلّ شيء.. كيانها أمانيها وأحلامها.. وهديتها لزوجها المعذّب المقهور.

من أجل هذا أرضعت خديجة فاطمة ولم تفعل ذلك لغيرها من قبل[1].

وهكذا ولدت فاطمة.. ولدت ولها تسعة اسماء.

فهي فاطمة لأنها الله فطمها من شرور الأرض[2] وهكذا أرادها الله.. وسمّاها فاطمة.

وهي فاطمة لأن الله فطمها واحبّاءها وذرّيتها من النار[3]، وأراد الله لها أن تكون حوراء في

---

(١) تاريخ بن عساكر ١/٢٩٣/دمشق، البداية والنهاية ٥/٣٠٧/مصر.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/١٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٣١/القاهرة، ذخائر العقبىٰ/٢٦، كنز العمال ١٣/٩٤/حيدرآباد، رشفة الصادي/٤٧/مصر، أرجح المطالب/٢٤٠ ـ ٢٤٥/لاهور، الفيض القدير ١/٢٠٦/القاهرة، وسيلة المآل/٧٨/دمشق، ◄

الأرض[1]..حـــوراء آدمـــــية ايـــن مـــنها حـــوريات الجنّة؟!

وفاطمة صدّيقة كمريم . . صدّيقة كالنبيين ؛ وفاطمة صـــدّيقة لأنـــها فـــاطمة ، وقـــد شـــهد الصـــادق الأمـين بذلك[2].

ومن أجل ذلك لا يغسّلها الّا صدّيق[3] ، وفاطمة «هي الصدّيقة الكبرىٰ وعلىٰ معرفتها دارت القرون»[4].

وفاطمة ولدت طاهرة وظلّت طـاهرة بـيضاء . . نـقية الثوب . . بيضاء كحمائم السلام . . بـيضاء كـالثلوج فـي القمم السامقة . . بيضاء كربائب الغمام تطوف في زرقة السماء . . بيضاء لأنها طاهرة . . طـاهرة لأن الله أراد لهـا

➢ إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الابـصار / ١٩١ / مـصر ، جـواهـر العقدين / ٣٩٧/ اسلامبول .

(١) كنز العمال ١٣ / ٩٤ / حيدرآباد ، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٣١ / القاهرة ، الفيض القدير ٢٠٦/١/ القاهرة ، ينابيع المودّة / ١٩٤ / اسلامبول .

(٢) الرياض النضرة ٢ / ٢٠٢ شرف النبوّة وفيه : ان سيدنا مـحمد ﷺ قـال لعلي : «أوتيتَ زوجة صدّيقة مثل أبنتي ولم أوت مثلها زوجة» .

(٣) علل الشرائع / ١٨٤ .

(٤) بحار الأنوار ٤٣ / ١٠٥ .

الطهر[1].

غسل عنها أدران الرجس، وطهّرها تطهيرا.

وأرادت السماء لفاطمة أن تكون بتولاً[2] كما أرادت ذلك لمريم من قبل.

لقد ولدت العذراء المسيح عيسىٰ، وكانت فاطمة تتبتل كلّ ليلة، كانت عديلة مريم تعود كل ليلة بكراً.

وبارك الله في فاطمة فجعلها كوثراً لمحمد صلى الله عليه وآله وامتداداً لذريته.

فقد جعل الله ذرّية كل نبي في صُلْبه وجعل ذرّية آخر الأنبياء[3] في صلب علي بعل فاطمة وكفؤها الوحيد.

وكانت فاطمة الزهراء زهراءً يشعّ وجهها نوراً اذا

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/، المستدرك ٢/ ٤١٦، ينابيع المودّة / ٢٢٩، ١٩٣، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٢، أسد الغابة ٥/ ٥٢١، تاريخ الذهبي ٢/ ٩٧، شواهد التنزيل ٢/ ١١، أنساب الاشراف ١/ ٢١٥، تفسير الرازي ٦/ ٧٨٣، البداية والنهاية ٨/ ٢٠٥، ذخائر العقبىٰ/ ٢٢.

(٢) ينابيع المودّة / ٢٦٠ / اسلامبول، المناقب المرتضوية / ١١٩ / بومباي، مودّة القربىٰ/ ١٠٣/ لاهور.

(٣) الصواعق المحرقة / ٧٤، ينابيع المودّة / ١٨٣، المناقب للخوارزمي / ٢٢٩.

وقفت تصلّي في المحراب..

تتألق عيناها النجلاوان ويضيء جبينها، وتستحيل الىٰ نجمة، تومض للسماوات كما تومض الكواكب للأرض[1].

هكذا خلق الله فاطمة؛ صدّيقة مباركة، طاهرة طيبة زكية زهراء محدّثة وراضية مرضية[2].

---

(١) أمالي الصدوق، بحار الأنوار ٤٣/ ١٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/ ١٠.

رحلة العمر

وفتحت فاطمة عينيها للحياة . . الحياة بكل عنفوانها وسعتها وأحداثها . .

كان الأب قد عاد من رحلته المثيرة . . رحلة الاسراء والمعراج.. رحلة الاسراء والمعراج . . رحلة في عمق السماوات والزمن .

مضىٰ عامان[1] منذ أن هبط جبريل علىٰ سفوح حراء، وقد اشتعلت شرارة الروح .

هكذا ارادت السماء أن تبدأ فاطمة رحلة الحياة مع بدء الإسلام، في ظلال الوحي الإلٰهي .

خديجة ترضع[2] ابنتها لبناً سائغاً . . تغذيها طهراً

---

(١) إقبال الأعمال للشيخ مصباح الكفعمي والطوسي حدائق الرياض للمفيد وفيه : يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد الزهراء سنة اثنتين من المبعث .

(٢) تاريخ ابن عساكر،المنتخب ٢٩٣/١/دمشق، البداية والنهاية ٣٠٧/٥/مصر.

ونقاءً.. وربّما سقطت دمعة علىٰ جبين فاطمة.. حزناً من اجل محمد.. محمد النبي الامّي..

ها هو يكافح من اجل النور الذي سطع علىٰ جبل النور.

من اجل أن تهفو قوافل البشر الحائرة الىٰ ينابيع السلام.. في وادٍ غير ذي زرع عند البيت العتيق..

في واد يزخر بالعذابات وبالدموع.. كبرت فاطمة..

نمت فاطمة.. أزهر وجهها الصغير الجميل فاذا هي صورة مصغّرة لوالدها محمد ﷺ[1]، العينان والحاجبان وذلك الضوء اللطيف الذي يحيط بالوجه، كما تحيط الهالة بالقمر.

أرأيت ضوء القمر عندما ينتصف الشهر العربي؟

أرأيت كيف يشعّ البدر فيغمر الأرضَ نورهُ الهادئ؟

---

(١) سنن أبي داود ٤ / ٤٨٠ / مصر، صحيح الترمذي ١٣ / ٢٤٩ / مصر، الاستيعاب للحافظ عبد البر ٢ / ٧٥١ / حيدرآباد، أدب المفرد للبخاري / ٢٤٤، ٢٥٢ / القاهرة، المستدرك للنيشابوري ٣ / ١٥٩ / حيدرآباد، سنن البيهقي ٧ / ١٠١ / حيدرآباد، العقد الفريد للاندلسي ٢ / ٣ / مصر، مقتل الخوارزمي / ٥٤ / الغري، ذخائر العقبىٰ الطبري / ٤٠ / مصر، سنن الهدى للقدوسي / ٥١٤، المدخل لابن الحاج ١ / ١٧١ / القاهرة.

هكذا قالت عائشة عن فاطمة ، وهكذا ذكر أنس عن أم أنس[1] عن .. فاطمة .

وجـه كـالبدر ، وبـياض مشـوب بـلون الورد .. أو كشمس يحجبها غمام ناصع ، وشعر فاحم طويل تكـاد تعثر فيه .

وفـي ضـوء وجـهها تـخيط نسـوة النـبي ويـغزلن وينظمن الابرة عندما يغمر الليل المدينة[2] .

وتمرّ الأيام ، وتنمو فاطمة ، تتفتح للـحياة ، تـتشرّب آيـات السـماء، آيـةً آيـة ، تـغتسلُ كلّ يـوم فـي يـنابيع الكلمات.. كلمات آخر النبوّات في التاريخ ..

هكذا نشأت فاطمة طاهرة نقية .. ولكن ..

بدأت العذابات .. عذابات الأنبياء ..

ها هي فاطمة تشهد زمناً يُقهر فيه المستضعفون ..

هـا هـي تـصغي بألم الىٰ لهـيب السـياط تـنهال عـلىٰ معذبي الأرض..

---

(١) تاريخ الجرجان للمؤرخ ابي القاسم السهمي/ ١٢٨ / حيدرآباد ، مقتل الحسين لابي المؤيد موفق بن أحمد / ٧٠ / الغري .

(٢) أخبار الدول وآثار الأول للشيخ أحمد الدمشقي الفرماني / ٨٧ / بغداد .

ها هي تشهد فرار المؤمنين تشرّدهم هجرتهم..

وها هي تستقبل اختيها رقية وأم كلثوم باكيتين.. طردتهما «أم لهب» مطلقتين حقداً علىٰ محمد النبي الامّي.

من أجل هذا نشأت فاطمة حزينة حزن سماء تنوء بالسحب وبالغيوم..

يالعذابات فاطمة.. أم حزينة.. وأبٌ مقهور معذّب.. لا شيء في مكّة سوىٰ الآلام.. سوىٰ سياط الجلّادين.

فاطمة تنصهر في بوتقة الألم المقدّس..

واعظم شيء في الروح أن يتحول الألم الىٰ اضطرام للحقائق.. حقائق السماء المطلقة، وعندها يولد القلب المؤمن.. القلب الآمن المطمئن..الذي ينبض خيراً للناس كل الناس..

هكذا كانت فاطمة فراشة من نور تبشر بالربيع.. ربيع جنّات الفردوس.

فاطمة تتألم من أجل أبويها.. من أجل المعذبين والمقهورين تتمنىٰ أن يكون العالم اخضر، والنور يغمر مكّة والجزيرة والعالم كلّه..

من أجل هذا يتألق الحزن في عينيها الواسعتين..

من أجل هذا غادرت البسمة فمها الدقيق . .

هي حزينة مادامت خديجة حزينة ؛ وخديجة حزينة من أجل محمد ﷺ ومحمد ﷺ يتعذّب من أجل أتباعه من أجل معذّبي الأرض . . يريد أن يحطّم الأغلال . . أغلال اللات والعزّىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ .

طفولة في مهبّ الأعصار

ايّةُ طفولة هي طفولة فاطمة . . وأي زمن عاشت فيه هذه البنت المرهفة الاحساس . .

الحزن المقدّس يتألق في عيني طفلة دخلت ربيعها الخامس من عمر الطفولة . .

فاطمة تنهض بالعبء الثقيل . . تحاول أن تخفف ولو قدراً من أحزان أمّها المقهورة . .

تحاول أن تبدد ولو جزءً من آلام والدها العظيم . . والدها الذي فقد أمّه في مثل هذا العمر . .

آه يا كوثر النبي الأخير . . أية طفولة هي طفولتك . . وأية عذابات هي عذاباتك ؟ !

هل هي إرادة السماء من أجل من تولد فاطمة نقية طاهرة..

هل هي مشيئة الربّ لتكون فاطمة سيّدة[1] عظيمة

---

(١) ينابيع المودّة للقندوزي / ٢٤٧ / اسلامبول .

لكل أمرأة في التاريخ..

هل هي كلمة الله من أجل أن تتبلور فاطمة حورية[1] في الأرض لأهل الأرض..

من اجل أن تكون فاطمة سيدة لكل النساء من حواء الىٰ آخر انثىٰ في رحم الأيام[2]؟

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣١ / القاهرة، كنز العمال ٥ / ٩٧ / مصر، رشفة الصادي / ٤٧ / مصر، الفيض القدير ١ / ٢٠٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ٢٦ / بيروت، خصائص النسائي / ٣٤ / مصر، الاستيعاب ٢ / ٧٥ / حيدرآباد، الاصابة للعسقلاني ٤ / ٣٦٧ / مصر، ينابيع المودّة / ٢٦٠ / اسلامبول.

سنوات الحصار

في قلب الظلمات حاكت العناكب خيوط المؤامرة ، تفتق الذهن الوثني عن خطّة دنيئة . . عن مقاطعة شاملة لبني هاشم . . كباراً وصغاراً . . نساءً ورجالاً . . ويشهر الوثنيون سلاح الجوع والحرمان ؛ وتتضاعف آلام فاطمة ، وهي ترافق امها وأباها الىٰ واد قاحل شجاعة الأب وصبر الأم وعنفوان التحدّي ، وقوّة المواجهة تتجلّىٰ في عينيها الواسعتين .

وفي أيام الحصار أو قبلها اكتشفت فاطمة فتىً اسمه علي.. لم تكتشف اسمه ولا رسمه فقط ، لأن فاطمة لاتعنيها الأسماء ولا الألقاب . . تعنيها الروح الإنسانية فحسب .

من أجل هذا وجدت فاطمة في علي المثل الأعلى للإنسان بعد أبيها العظيم . . وجدت فيه التضحية ، الايثار وملاحم الفداء . . اكتشفت فيه حبّه العظيم لمحمد .

كفصيل يتبع أمّه[1] بلهفة كان علي يتبع أباها يلازمه كظله يتشرّب خلقه الكريم ونبله العظيم.

وتمرّ ثلاثة أعوام.. سنوات من جمر.. سنون مريرة كسنّي يوسف أو اشدّ قسوة.

سلبها الحصار اشياء ووهبها اشياء.. سلبها نضارة العيش.. رغد الحياة.. سلبها نضرة الجسد.

ووهبها توهج الروح، سلبها الشبع ومنحها قوّة الارداة.. سلبها طفولتها، وحوّلها الىٰ فتاة متوقّدة الذهن، فياضة الحبّ.

فجّرت سنوات الحصار في اعماقها كلّ القيم الخيّرة، لتخرج فاطمة ثابتة كالجبل.. قويّة كالعاصفة طاهرة كقطرات الندى.. ورقيقة كوردة بنفسج.

فاطمة تخطو في طريقها القويم لتتبلور فيها صورة الانوثة الكاملة بكل فضائلها ومكنوناتها التي أودعها الله في المرأة يوم خلق حواء.

ليس هناك من يدرك اسرار فاطمة.. روحها العظيمة..

ليس هناك من يسبر عمق الصفاء في عينيها

---

(١) نهج البلاغة.

النجلاوين ، وليس هناك من يسبر المديات البعيدة ، حيث يسيح ذهن فاطمة في رحلته عبر الوجود ؛ الىٰ حيث تولد النجوم في أغوارها السحيقة .

كبرت فاطمة وكبرت في أعماقها أمنيات الأنبياء . . اصبحت عيناها أكثر تألّقاً ووجهها أكثر نوراً وشعرها أكثر طولاً واعمق سواداً من ليل الصحراء وهو يغمر كثبان الرمال .

انصرمت اعوام القهر ، ومضت أيام الجوع والحرمان، وقد أفنت الأرضة بنود الصحيفة الظالمة فلم تُبقِ منها سوىٰ «باسمك اللهم».

خرجت فاطمة كأقوىٰ ما تكون ، تزخر في قلبها كل معاني الصبر والاستقامة والمقاومة .

عاد بنو هاشم الىٰ منازلهم في مكّة ، عادوا الىٰ ذكريات الطفولة وملاعب الصبا .

وغادت فاطمة ، وفي قلبها فرحة ، وفي عينيها تتألق معاني الايمان بمستقبل أفضل .

وتدور الأيام ، دوران الرحىٰ ، تهرس وتطحن ، واذا بخديجة الأم الرؤوم ، والزوج الوفية المخلصة تسقط اعياءً . .

لقدّ هـدّها الزمـن، وأضـناها الدهـر وفـاطمة مـاتزال صغيرة.. ربّما ناهزت الثامنة من عمر الربيع.

وتدمع عينا خديجة.. وتـتساءل «أسـماءُ» عـن سـرّ البكاء فتقول الأم وهي علىٰ وشك الرحيل: أبكي من أجل فاطمة.. ابكي لحظة الزفاف.. العروس تـحتاج الى مـن تفضي بسرّها اليه.

فتقول اسماء: لك عهد الله يا سيدتي ان بقيت الىٰ ذلك أن أقوم مقامك في هذا الأمر.

وتغمض الأم عينيها لتغفو بسلام.. وينهدّ قلب محمد لقد فقد من صدّقه ونصره ووقف الىٰ جانبه في صراعه المرير.

ويُوارىٰ الجثمان الطاهر لسيدة نسـاء عـصرها فـي أرض الحجون.

اين كانت فاطمة في تلك اللحظات؟.

تبحث عن امّها عن القلب الدافئ والصدر الحاني فـلا تجده..

تتساءل عنها فيقول الأب وعيناه تهملان: امك في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1].

---

(١) مسند أحمد.

وتكرّ الأيام ويُسدّد القدر ضربته الأخرى لقد بلغ أبو طالب الثمانين، وآن له أن يستريح.

ها هو يغمض عينيه، فتنهدّ برحيله قلاع المقاومة ويهبّ الاعصار الوثني المجنون كأعنف ما يكون.

ويعاني النبيُّ الأمّي شتّىٰ صنوف العذاب.. لم يعد هناك من يدفع الأذىٰ والعذاب عن وجه محمد.

ها هو أبو جهل يعربد ويهدّد.. لم يعد هناك من ناصر لقد رحلت خديجة ورحل أبو طالب والعام عام حزن.

فاطمة تسمع وعيد الذين كفروا.. تآمرهم لقتل آخر الأنبياء فتعود الىٰ المنزل تذرف الدموع[1] حزناً علىٰ ابيها العظيم.

شحب الوجه المضيء تضاعف الألم في القلب المؤمن، وتكسّرت أمواج الحزن في العينين الواسعتين.

آه يا أمي الحبيبة ليتك تحضرين.. تشهدين ما يجري علىٰ أبي؟

وفي ضحىٰ يوم كئيب تستقبل فاطمة أباها، وتفجّر غضب في قلبها الطاهر يا لهول ما ترىٰ..

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ١ / ٧١.

كيف يجرؤ هؤلاء الوثنيون علىٰ نثر التراب على وجه أعظم الأنبياء ؟ علىٰ وجه من اضاءت كلماته قلوب معذّبي الأرض ؟!

مثلما تهطل أمطار الشتاء.. مثلما تتجمع الغيوم في السماء بدت عينا فاطمة تموجان بالدموع.

بكت فاطمة من أجل ابيها المعذّب. من أجل الإنسان المقهور. راحت تصبّ الماء علىٰ رأسه فتمتزج الدموع بالمياه وهي تنثال علىٰ وجه أبيها.

قال الأب مواسياً: لا تبكي يا بنيّة فان الله مانع أباك[1].

ماذا بوسع صبية في التاسعة أو في العاشرة من عمرها أن تفعل.. أنّىٰ لها أن تصدّ عنف الزوبعة المجنونة ؟!

وكيف لها أن توقف مسلسل العذاب ؟!

ها هي تتبع أباها تمضي خلفه الىٰ الكعبة بيت الله العتيق..

ويستغرق النبي في صلاته خاشعاً لله..

وينهض وثني أحمق غاظه ما يشهد، فيحمل بيديه القذرتين فرثاً ودماً فيلقيه علىٰ وجه أزهر بنور الله.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٨٠.

وتغضب فاطمة، يتفجّر بركان الحزن المقدّس، فتتقدّم الىٰ أبيها العظيم فتميط عن الوجه[1] النبوّي الأذىٰ.

ويتفجر في قلب محمد ﷺ نبع الحبّ اكثر فاكثر لهذه الفتاة.. لكلّ هذا الحنان والرحمة فيدعوها: بأم ابيها، ويقول لها: فداك أبوك[2].

فاذا تضاعفت الآلام وتكالبت قوىٰ الشّر تريد أن تطفئ سنن الأنبياء، عاد النبي الىٰ منزله ليجد فاطمة في انتظاره.

فاذا رآها انكشفت عنه الهموم واذا قبّلها شعر بأنه يلج جنّات الفردوس[3]، فيملأ روحه وصدره من شذىٰ رياحين الجنان.

---

(١) مناقب إبن شهراشوب ١ / ٦٠.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي / ٦٦ / الغري، المستدرك للنيسابوري ٣/ ٥٦/ حيدرآباد الدكن.

(٣) ذخائر العقبىٰ / ٣٦، كنوز الحقائق / ١١٩، الجامع الصغير ٢ / ٢٩٤.

الهجرة

وتستحيل مكّة الىٰ جحيم لا يطاق . . تصبح وطناً مقهوراً ، يشرّد ابناءه الطيّبين .

وتصبح الهجرة الىٰ بقعة آمنة في دنيا الله ؛ هاجس النبي المعذّب .

وفي ربيع الأول وبعد ثلاثة عشر عاماً من العذاب والمعاناة وضع النبي أولىٰ خطاه في طريقه الىٰ يثرب .

وبدأ بذلك التاريخ الهجري . . التاريخ الذي غيّر وجه الدنيا وصحّح المسار الإنساني للعالم .

ولم تمض سوىٰ أيام قلائل حتىٰ تلقّت فاطمة انباءً بهيجة؛ لقد وصل المهاجر الشريد قرية قبا وأن عليها أن تستعد للهجرة ، فقد ابتاع على جمالاً للسفر وآن لقافلة الفواطم[1] أن تنطلق صوب وطن المهاجرين . . الىٰ ينابيع النور والمحبّة والسلام .

---

(١) مناقب ابن شهرانوب ١ / ١٧٥ ، ١٨٣

ويقود علي القافلة منطلقاً الىٰ ذي طوىٰ ومنها الىٰعرض الصحراء برمالها وكثبانها ..

وكان أبو واقد يسوق القافلة سوقاً فيه عنف، وتشعر النسوة بمتاعب هذه الرحلة الخطيرة، ويتدخل علي ليقول: إرفق بالنسوة أبا واقد.

فيجيب السائق: انني أخشى الطلب.

ويهدّئ عليٌّ من مخاوف الرجل، بل يبادر الىٰ سوقِ القافلة بنفسه لتنساب بطمأنينة في بطون الأودية.

وعندما وصل ركب الفواطم مشارف «ضجنان» اهتزّت رمال الصحراء لوقع فرسان الدورية ..

كانوا ثمانية من الوثنيين جاءوا لألقاء القبض علىٰ المهاجرين وإعادتهم الىٰ الوطن السليب بالقوّة.

بركت الجمال، وبرق سيف عليٍّ في شمس الصحراء .. وفي تلك اللحضات المثيرة اكتشفت جزيرة العرب بطل الاسلام والسيف الذي لا يقهر.

وفيما كان عليٌّ في غمرة المواجهة أفلت «الحويرث» صوب جمل فاطمة فأثاره.

ونفر الجمل[1] مذعوراً وهوت فاطمة بجسمها

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٥٢.

النحيل المتعب الىٰ الأرض.

ولم تكن الفتاة لتتحمّل هذه الصدمة، فدوّت الآلام في جسدها النحيف الغضّ.

وتستأنف القافلة رحلتها تطوي الصحراء.

وعندما يغمر المساء الرمال وتحطّ القافلة عصا الرحال، ويلتقط المهاجرون أنفاسهم.

تُمضي فاطمة الليل تتأمل السماء المرصّعة بالنجوم، فتمتلأ روحها إيماناً، وينفتح قلبها النابض على الكون بأسره؛ لينطوي في حناياه بعد أن اكتشف أسراره وطواياه.. عندما تلتقي جميعاً في كلمة واحدة هي: الله.. الله وحده.

وهي تتوسّد رمال الصحراء ينطلق ذهنها المتوقد، وفكرها الوثاب في آفاق الفضاء اللامتناهي، حيث تبدو النجوم قلوباً تنبض بالحب الالهي.

ويضجّ نداء في أعماق روح تلك الفتاة الملائكية نداء الأعماق المسكونة بالأيمان: ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك[1].

---

(١) سيرة المصطفىٰ ـ نظرة جديده / هاشم معروف، بحار الأنوار ١٩/ ٦٦.

الوطن الدافئ

ها هي فاطمة تخطو باتجاه وطن دافئ .. بقعة طيبة هوت النور القادم من الجبل .

وتأوي فاطمة الىٰ بيت في المدينة هو بيت أبي أيوب فتجد في والدته الطيّبة نفساً عالية وايماناً .

وتجد المرأة المدنية في بنت محمد مثالاً للفتاة ، كأجمل واسمىٰ ما يكون .

وجدت فيها سيّدة صغيرة .. تفوق بكثير سنّها وهي قد ناهزت الحادية عشر من ربيع العمر ..

طِيبة ونقاء ، وسموّ ورفعة وجلال ، وشفافية ، تنم عن روح لطيفة في إهاب جسد لطيف .

عينان وسيعتان تتألق فيهما نجوم ونجوم .. وشبه عظيم بين الأب وأبنته .. في الشكل والصورة والمثال .. حتىٰ في الكلام وفي تلك الحالة من الطمأنينة السلام .

وتمضي الأيام ويرفع النبي ﷺ القواعد من المسجد ليكون رمزاً لثقافة جديدة وعصر جديد..

ويبدأ النبي المهاجر الذي فقد زوجه الوفية منذ أعوام.. يبدأ في تأسيس مجتمع جديد.. مجتمع يزخر بالنشاط والحياة.

ويستأنف النبي حياته الزوجية باقترانه مع سودة ثم أم سلمة وتنتقل فاطمة الىٰ بيت أم سلمة وقد فوّض اليها أمر أبنته.

وتكتشف أم سلمة في هذه السيدة الطاهرة الفتاة المثال والسيدة الكاملة فتقول: «فكنت أودّبها وأدلّها، وكانت والله آدب منيّ وأعرف بالاشياء كلّها»[1].

تلك هي فاطمة سيّدة كاملة أنضجتها الحياة، وصهرتها الحوادث، ونحتتها السماء مثالاً مشرقاً لكل النساء.

(١) دلائل الإمامة / ١١.

الاقتران الخالد

وتتألق فاطمة تصبح سيدة المدينة ، وتصبح حديثاً شائقاً في جلسات السمر . .

بيوت المدينة تتغنىٰ باسمها ، تتحدث عن فتاة مكّة . .

عن شعرها الفاحم الطويل ، وعن عينيها المتألقتين كبحيرتين رائقتين تزخران بالنجوم . .

عن وجه مضيء يشبه القمر . .

عن روحها الشفّافة كخيال لطيف .

وعن لمسة حزن تتكسر في عينيها النجلاوين . .

وعن إطراقة صمت عميقة تشبه إستغراقاً في صلاة طويلة..

وعن حياء أنثوي يتورّد فوق وجنتيها الزاهرتين .

اكتمل البدر واطلّت الزهراء علىٰ ربيعها الرابع عشر

ويتقدّم الخاطبون، واحداً بعد آخر ولكن دون جدوىٰ.

لا أحد يدري من سيحظىٰ بلؤلؤة المجد.. بتلك الحورية الفريدة؟!

فالنبي يردّ الخاطبين وينتظر في ذلك أمر الله[1].

وكانت السماء تنتظر كفؤ فاطمة الوحيد تنتظر علياً[2].

ويكتشف علي لحظة[3] الخطوبة وكان يرجئ ذلك لقلّة ذات اليد؛ ثم ينطلق الى بيت محمد ﷺ يخطب إليه فاطمة[4] فتتهلّل أسارير الأب الكريم.

---

(١) منتخب كنز العمال ٥ / ٩٩ القاهرة، مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٥ القاهرة.

(٢) التذكره لابن الجوزي/ ٣١٦ الغري، الخصائص للنسائي/ ٣١ مصر، مشكاة المصابيح للعمري ٣ / ٢٤٦ دمشق، فرائد السمطين للحمويني / ٢٣، تحفة الاشراف ٢ / ٨٣، سعد الشموس للحضرمي / ٢١٠، أرجح المطالب للحنفي / ٤٤٠ لاهور، أسد الغابة للجزري ١ / ٢٨٦ مصر.

(٣) منتخب كنز العمال ٥ / ٩٩ مصر، مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٥ القاهرة، محاضرات الأدباء للراغب ٤ / ٤٧٧ بيروت.

(٤) عمل اليوم والليلة / ١٦٣ حيدرآباد، ذخائر العقبىٰ / ٣٣ مصر، مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٩ مصر، الثغور الباسمة /٦ بومباي، ينابيع المودّة / ١٧٤ اسلامبول.

احتفال في السماء

وفيما كانت المدينة تستعد للاحتفال بالزواج الخالد بدأت احتفالات السماء ، وقد هبط جبرئيل يحمل إرادة السماء[1] تقضي باجتماع علي وفاطمة تحت سقف واحد.. لتتحقق سورة الكوثر ويعمّ الخير جميع البشر .

وكان صداق فاطمة في الأرض درع باعها علي باربعمئة وثمانين درهماً[2] ، وصداقها في السماء الشفاعة[3] للخاطئين ، وعلىٰ ربع الدنيا فلا مكان لمن

---

(١) اخبار الدول وآثار الاول / ٤٢ / بغداد ، رشفة الصادي / ٩ / مصر ، وسيلة المآل / ٨٢ / دمشق ، أرجح المطالب / ٢٦٢ / لاهور .

(٢) مجمع الفوائد ٩ / ٢٠٥ / القاهرة ، منتخب كنز العمال ٥ / ٩٩/ مصر ، تاريخ الخميس ١/ ٣٦٢/ مصر ، محاضرات الأدباء ٤/ ٤٧٧ / بيروت .

(٣) نزهة المجالس ٢ / ٢٢٥ / القاهرة ، اخبار الدول / ٨٨ / بغداد ، تجهيز الجيش / ١٠٢ .

يبغض فيها فاطمة[1].

ولم يكن جهاز فاطمة سوى قطيفة مخملية، وقربة ووسادة من آدم حشوها ليف أو أذخر[2]، ورحائين وجرّتين، وكانت القطيفة لا تكفي لشخصين[3].

وفي السماء كان جهاز سيدة النساء، أن نثرت أشجار الفردوس الحلى والحلل..

تسّاقط فوق أرض الجنّة.. تغمر حوريات الجنّات يتزيّن بها سكّان العالم العلوي[4].

وأحدقت الملائكة، وزخرفت الجنان، وطافت حوريات بالعرش، وغنّت الطيور ونثرت شجرة طوبىٰ

---

(١) مودّة القربىٰ للهمداني / ٩٢ / لاهور.

(٢) مسند الشيباني ١ / ١٠٨، مسند الحاكم النيسابوري ٢ / ٨٠ / حيدرآباد، ذخائر العقبىٰ / ٣٤، الثغور الباسمة لليوسفي / ١١ / بومباي، منتخب كنز العمال / عن المسند للحاكم، وسيلة المقال / ٨٤ / دمشق، المواهب اللدنية ٢ / ٧ / مصر، ذخائر المواريث للنابلسي ٣ / ١٦ / مصر.

(٣) صفوه الصفوة لابن الجوزي ٢ / ٤ / حيدرآباد، ذخائر العقبىٰ / ١٠٥ / مصر.

(٤) حلية الأولياء ٥ / ٥٩ / مصر، تاريخ بغداد ٤ / ١٢٨ مصر، مقتل الحسين للموفق / ٦٤ / الغري، مناقب الموفق / ٢٣٥ / تبريز، وسيلة المآل / ٨٥ / دمشق، ينابيع المودّة / ١٩٦ / اسلامبول.

اللــؤلؤ الرطب ، والدرّ الابــيض ، والزبـرجـد الاخـضـر، والياقوت الاحمر[1] والمرجان.

وفي الارض زفّت فاطمة الىٰ منزلها الجديد..

آخر الانبياء يـتقدّمها ، وجـبريل عـن يـمينها ، وعـن يسارها مـيكال والآف المـلائكة خـلفها.. يسـبّحون الله ويقدّسون حتى مطلع الفجر[2].

وفي مـنزل فـاطمة الجـديد قـال الأب الكـريم لابـنته الطاهرة: ائتيني بماء..

فلما جاءت به أخذ رشفة فنضح في صدرها ثـم بـين كتفيها وعلىٰ رأسها وقال: «اللهم اني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم».

ونضح الماء على رأس علي وفي صدره وبين كـتفيه وقال:«اللهم أني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم».

---

(١) نزهة المجالس ٣ / ٢٢٣ / مصر ، الفتاوي الحديثية / ١٢٤ / مـصر ، رشـفة الصّادي / ٩ / القاهرة ، وسيلة المآل / ٨٥ / دمشق ، أرجح المطالب / ٢٥٤ / لاهور.

(٢) تاريخ بغداد / ٥ / ٧ / القاهرة ، المناقب لأبي المؤيد / ٦٦ / الغري ، ذخائر العقبىٰ / ٣٢ / مصر ، وسيلة المآل / ٨٦ / دمشق.

وقال له : ادخل بأهلك باسم الله[1] .

ودعي المسلمون وأهل المدينة الىٰ الوليمة فأكلوا حتىٰ شبعوا ، وشربوا حتىٰ ارتووا .

وكانت وليمة علي علىٰ فاطمة أفضل الولائم[2] فقد باركها آخر الانبياء وباركتها السماء . وتنتقل السيدة فاطمة وهي اعظم سيدة في التاريخ الىٰ بيتها الجديد .

بيت متواضع وبسيط ، فراشه رمل ليّن ، مشجب الثياب لا يعدو أن يكون سوىٰ خشبه تمتد من جدار الىٰ جدار ، وأهاب كبش ، ووسادة ليف وقربة ماء[3] .

وعندما زفّت الزهراء اجتمع كل الاثاث والجهاز فكان قميصاً ، وخماراً وقطيفة خيبرية ، وسرير وفراشان من كتّان مصري ، حشو أحدها ليف وحشو الآخر من

---

(١) منتخب كنز العمال ٩٩/٥ /مصر ، عمل اليوم والليلة للحنفي/ ١٦٣/حيدرآباد ، مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٥ / القاهرة ، محاضرات الادباء للاصفهاني ٤٧٧/٤/بيروت ، المواهب اللدنية للقسطلاني ٤/٢/ مصر .

(٢) الصواعق المحرقة / ٢٣٢ / مصر ، تاريخ الخميس ١ / ٣٦٢ / مصر ، الثغور الباسمة / ٧ / بومباي ، رشفة الصادي / ١٠ / القاهرة ، ذخائر العقبىٰ / ٣٣، النهاية لابن الجوزي ٢ / ١٣٦ / مصر ، لسان العرب ٩ / ١٣٦ / بيروت .

(٣) المناقب لابن شهراشوب ٣ / ٣٥، بحار الانوار ٤٣ / ١١٤ .

صوف وحصير هجري، ورحا، ومطهرة مزفّتة، وكيزان خزف.

هذه هي دنيا فاطمة؛ سيدة المدينة والعالم بأسره، دنيا أبكت سيّدنا محمد ﷺ فقال: اللهم بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف[1] زفّت فاطمة، وماتزال شذى الأناشيد والأهازيج يملأ فضاء المدينة وكتب التاريخ:

سرن بعون الله جاراتي
واشكرنه في كل حالات

واذكرن ما أنعم ربُّ العلىٰ
من كشف مكروه وآفات

فقد هدانا بعد كفر وقد
أنعشنا ربُّ السماوات

وسرن مع خير نساء الورىٰ
تُفدىٰ بعمّات وخالات

يا بنت من فضّله ذو العلىٰ
بالوحي منه والرسالات

* * *

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٣/٣٥٣، كشف الغمة ١/٣٥٩.

فـاطمة خـيرُ نسـاءِ البشـر
ومن لها وجـه كـوجه القـمر

فـضّلك الله عـلى كلّ الورى
بفضل من خُصّ بآيّ الزّمـر

زوّجك الله فـتىً فـاضلاً
أعني علياً خير من في الحضر

فسـرن جـاراتـي بـها أنـها
كـريمةٌ بـنت عـظيم الخـطر

ويضيء منزل علي، تضيئه شموع الروح، ويضيئه وجه الزهراء حوريّة الأرض، التي تملأ البيت الصغير دفء الكلمات وشذى من عبير الجنات.. جنّات الفردوس[1].

وانصرفت الزهراء الىٰ حياتها الجديدة؛ في ظلّ الزواج الخالد، ولا تسل عن فرحتها عندما كفل زوجها ما وراء الباب، فمملكة المرأة بيتها، وسلوتها أعمال المنزل وجهادها حسن التبعّل.

---

(١) اخبار الدول للقرماني / ٨ / بغداد، ذخائر العقبىٰ / ٣٦ / مصر، وسيلة المآل / ٧٩ / دمشق، ينابيع المودّه / ١٩٧ / اسلامبول، المستدرك للنيسابوري ٣ / ١٥٦، ميزان الاعتدال ٢ / ٢٦.

ويدرك علي ان الزهراء بضعة[1] سيدنا محمد ﷺ وجزء من كيانه وجوهراً لوجوده؛ فلم يؤذها ولم يكرهها علىٰ أمر..

وكانت الزهراء مثال الزوج الطيبة تمتثل لارادته في كل شيء ولم تعص له أمراً أبداً.

واضحت الزهراء في نظر علي وجهاً ملائكياً يبدّد عند رؤيته الهموم والاحزان.

فكان أسعد لحظاته[2] في الحياة، اللحظات التي يقضيها مع زوجه البتول.

ونهضت السيدة فاطمة بأعباء المنزل الكثيرة لوحدها، ولم تغادر منزلها دون أذن زوجها أبداً[3].

وكانت الزهراء تستيقظ فجراً وربّما قبل الفجر فتصلّي وتستغرق في العبادة حدّ الذهول.

---

(١) الفصول المهتمة / ١٢٨ / الغري، نزهة المجالس ٢ / ٢٢٨ / القاهرة، نور الابصار / ٤١ / مصر، أرجح المطالب / ٢٤٥ / لاهور، إرشاد الساري للقسطلاني ٦ / ١٤٤ / مصر، ينابيع المودة / ١٧١، ١٨٠/ اسلامبول، كنوز الحقائق للمناوي / ١٠٣/ بولاق.

(٢) مناقب الخوارزمي / ٢٥٦.

(٣) الوافي /كتاب النكاح / ١١٤، مناقب الخوارزمي / ٢٥٦.

وفي غبش الفجر تدور الرحىٰ لتطحن[1] ، ويشتعل الموقد ؛ ولم يكن الزوج ليدع زوجه تشقىٰ فكان يحتطب ويستقي وكان ايضاً يكنس المنزل[2] .

ويرىٰ علي زوجه بوجهها الملائكي وروحها الشفافة وجسمها النحيل تكدح وتشقىٰ في المنزل . . تستقي بالقربة حتىٰ أثّر في صدرها ، وتدير الرحىٰ حتىٰ تَظهرُ الفقاقيع في يدها الناعمة .

وتكنس المنزل فتغبرّ ثيابها ، وتوقد النار[3] وتعاني في كل ذلك الاجهاد .

ويرقّ الزوج لحالها وشقائها ، فيقترح عليها زوجها ان تذهب الىٰ والدها الرحيم علّه يهبها خادماً تعينها في أعمال المنزل .

وتنطلق الزهراء الىٰ أبيها ، فيمنعها الحياء أن تطلب ويتساءل سيدنا محمد ﷺ عن حاجتها فتقول : جئت أسلّم عليك وتعود الىٰ المنزل خاوية اليدين .

---

(١) ذخائر العقبىٰ / ٥١ .

(٢) بحار الانوار ٤٣ / ١٥١ .

(٣) صحيح البخاري ٦ / ٦٩ .

ويدرك الأب ما يموج في أعماق ابنته ، فينطلق الىٰ منزلها في المساء وكان الفصل شتاء والريح قارسة البرد والغطاء وحيد لا يكفي الاّ واحداً .

ويستأذن النبي في الدخول ويتساءل :

ما كانت حاجة بنت محمد ؟ وتلوذ فاطمة بالصمت حياءً ويتولّىٰ علي الجواب :

أنا اخبرك يا رسول الله ؛ انها استقت بالقربة حتىٰ أثر في صدرها . .

وجرّت بالرحىٰ حتى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتىٰ اغبّرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها.

فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنتِ فيه .

فيقول الأب : أفلا أعلمكا ما هو خير لكما من الخادم ؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين وإحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين ؛ فذلك مئة باللسان وألف حسنة في الميزان .

وتجيب الزهراء مستبشرة : رضيت عن الله

ورسوله[1].

وتنهض الزهراء في المحراب، قائمة بين يدي ربّ الأرباب، فيتألق نوْرها لأهل السماء كما يتألق نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا الىٰ أمتي فاطمة سيّدة إمائي.. قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها علىٰ عبادتي[2].

وتتقاطر دموعها خشية من رب السماوات والأرضين[3] وتتورم قدماها لطول ما تقوم في المحراب[4].

واعظم ما في تلك السيّدة صبرها.. صبرها علىٰ الجوع والحرمان وشظف العيش.

رآها سيدنا محمد ﷺ مرتدية كساء من أوبار الإبل وهي تدير الرحىٰ مجهدة فبكىٰ وقال: يا فاطمة اصبري

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/ ٨٢، ١٣٤.

(٢) أمالي الصدوق / رواية ابن عبّاس عن النبي ﷺ.

(٣) عدّة الداعي / ١٣٩.

(٤) ربيع الأبرار للزمخشري/ ١٩٥.

علىٰ مرارة الدنيا .. لنعم الآخرة غداً ..

ومالبث جبريل أن هبط يحمل للنبي ﷺ : «ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ»[1].

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٥ / ٢٦٠ / القاهرة ، اتحاف السادة للزبيدي ٩ / ٣٥٥ / القاهرة ، المستطرف للابشهي ٢ / ٤٥ / مصر ، البيان والتعريف للحسيني / ١٠١ / حلب .

بدر رمضان .. ابتسامة

وتــرىٰ «أم الفـضـل»[1] رؤيـا فـتقول للـنبي ﷺ : يـا رسول الله كأن في بيتي عضو من أعضائك، فيقول ﷺ : خيراً رأيت؛ تلد فاطمة غلاماً فترضعيه[2] .

وفي منتصف شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة للهجرة تصبح الزهراء أمّا، ويشـرق النـور والأمـل فـي وجه النبي ﷺ لقد ولد السيد الحصور، سليل الشـجرة المباركة .

ولم يسمّه أحد فكانت فاطمة تنتظر علياً وكـان عـلي ينتظر رسول الله وكان الرسول ينتظر جبريل .. ويهبط جبريل أن سمّه شبّراً لأن منزلة أبيه كمنزلة هـارون من

(١) زوج العباس عم النبي ﷺ .

(٢) كنز العـمال ١٩/ ٢٧٢، مسـند السـيوطي (مسـند فـاطمة) ح ٢٣٤ ص ٨٨/ بيروت.

موسىٰ الّا النبوّة ، فيقول النبي ﷺ :

لساني عربي !

فقال جبريل : سمه حسناً .

وتتألق ملامح آخر الأنبياء في الوجه الصغير لكأنه يعكس طفولة محمد قبل نصف قرن من الزمن[1] .

وتتفجر ينابيع الحبّ في قلبي الجدّ والحفيد ويتعلق أحدها بالآخر .

وكان النبي يصطحب سبطه الىٰ المحراب ، وربّما سجد النبي فيطيل السجود حتىٰ يظنّ البعض أنه الوحي قد جاءه .

فيقول النبي : لم يوح الي ، ولكن إبني كان علىٰ كتفي فكرهت أن اعجله حتىٰ نزل[2] .

---

(١) كشف الغمة ١ / ٥٤٦ ، مسند أحمد ٣ / ١٩٩ ، البحار ٤٣ / ٣٠ ، الفضائل لابن حنبل /ح١٣٤٨ ، سنن الترمذي ٥ / ٦٥٩ ، مستدرك الحاكم ٣/ ١٦٨ .

(٢) بحار الأنوار ٤٣ / ٢٩٤ بالاستناد الىٰ مناقب ابن شهراشوب .

احزان فاطمة

وفي شوّال من السنة الثالثة للهجرة تشتعل معركة أحد قرب المدينة المنورة .

وتنطلق فاطمة مع صفية عمّة النبي ﷺ وشقيقة سيّد الشهداء الىٰ ساحة المعركة أو قريباً منها وقد دارت الدائرة علىٰ المسلمين الذين تركوا النبي وحيداً يقاتل الّا قليلاً منهم .

ويصاب النبي بجراح شديدةً وتنزف دماؤه لا يوقفها ضماد .

وترىٰ فاطمة أباها وقد جلّلته الجراح . فتوقف نزف الدماء القانية ثم تأخذ سيف النبي ﷺ وسيف بعلها الوصي فتغسل عنهما الدماء[1] .

لقد كان النبي ﷺ يمثّل كل وجود الزهراء ، ولا يمكن

---

(١) سيرة ابن هشام ١٠٦/٣ .

لأحد أن يسبر مديات الحبّ الذي تكنّه فاطمة لأبيها العظيم.

ألأنها كانت بضعته؟[1]..

أم الأنها بهجته[2]..

أم لأنها روحه التي بين جنبيه[3] محمد هو كل شيء في حياتها ووجودها.. الهدف والغاية.. الرجاء والأمل.. والحبّ..

وكل ذرّة في كيانها تعيش من أجل محمد.. النبي.. الرسول.. الأب الرحيم.. والإنسان الكريم.. من أجل هذا، فان الدنيا مضيئة بمحمد.. زاهرة بمحمد.. بهيجة بمحمد[4].

والجبال ثابته لا تمور، والبحار هادئة لا تفور،

---

(١) معجم الصحابة للبغوي / ١٤١، نظم درر السمطين / ١٧٦، صحيح البخاري ٥/ ٢١، ٢٩.

(٢) غاية المرام / ٤٦ ح ٥٧، مناقب الزمخشري / ٢١٣، إحقاق الحق ١٣/ ٧٩.

(٣) الروضة الندية ١٤ / مصر.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣.

والارض ساكنة لا تتزلزل من أجل محمد[1] .

من أجل هذا عاشت فاطمة وقلبها علىٰ ابيها .. وقد كانت تحنو عليه مذ كانت صبية ...

وكانت امّاً صغيرة .. فدعاها سيّد الخليفة : أُم ابيها[2] .

---

(١) فاطمة من المهد الىٰ اللحد / ٣١٠ .

(٢) مناقب ابن شهراشوب ، مقاتل الطالبيين ، الاستيعاب ، أسد الغابة ، مقتل الخوارزمي / فضائل فاطمة ، البحار ح١٦ ، ج٤٣ .

أهل البيت

في السنة الرابعة من الهجرة ولثلاث ليال خلون من شعبان(١) ولد الحسين سبط النبي وريحانته ، ليتبلور مفهوم أهل البيت .

وكان حمل الحسين وفصاله ثلاثون شهراً ، ولم يعش مولود لستة اشهر قط الاّ الحسين وعيسىٰ بن مريم(٢) .

وبعد ميلاد الحسين ، هبط جبرئيل يحمل آية الطهر هدية من عند الله وآيته المباركة والنبأ العظيم : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»(٣) .

---

(١) كشف الغمة ١ / ٥١٤، البحار ٤٤ / ١٣٦ .

(٢) البحار ٤٣ / ٢٤٥ .

(٣) التفسير الحديث ٨ / ٢٦١ ، تفسير المراغي ٢٢ / ٧، السراج المنير ٣ / ٢٤٥، تفسير الرازي ٦ / ٧٨٣، اعلام النبلاء ٣ / ٢١٢ ، مستدرك الحاكم ◄

تلك هي فاطمة بنت محمد آخر الأنبياء وزوج علي آخر الأوصياء، وأم الحسن شبيه محمد، وأم الحسين سيّد الشهداء.

تلك هي فاطمه.. الكوثر المهدور.. سيّدة كل إمرأة في تاريخ الإنسان.

> ٢ / ٤١٦، ينابيع المودّة / ٢٢٩، جامع البيان ٢٢ / ٥، الاتحاف بحب الاشراف / ٥، احكام القرآن ٢ / ١٦٧، احتاق الحق ٩ / ٥٠، نزهة المجالس ٢ / ٢٢٢، أسد الغابة ٥ / ٥١٢، تاريخ الذهبي ٢ / ٩٧، البداية والنهاية ٨ / ٥٠

خير النساء

وفي المسجد يتساءل النبي ﷺ عمّا هي خير النساء ؟ ويلوذ اصحابه بالصمت .

ويعود علي الىٰ منزله يسأل فاطمة يسألها لأنها تمثل المرأة منذ خلق الله حواء ، وتجيب فاطمة عن السؤال الصعب فتقول: خير لهن أن لا يرين الرجال[1] ولا يرونهن.

ويسأل النبي علياً : من علمك هذا ؟

قال : فاطمة .

فيقول آخر الانبياء : انها بضعة مني .

ويستأذن عليها رجل أعمىٰ ، فتحجبه ، فيقول النبي : لم حجبتيه وهو لا يراك ؟

(١) حلية الأولياء ٢ / ٤٠ ، مناقب ابن شهراشوب ٣ / ٣٤١ .

فتجيب السيّدة المحجبّة: إن لم يكن يراني فأنا أراه[1].

تلك هي فلسفة فاطمة في الحجاب والحشمة والستر.

وتعيش البتول حياتها زاهدة حتىٰ الكفاف؛ بل دون الكفاف.

فقيرة دون مستوىٰ الفقر بكثير..

وما أكثر الأيام والليالي تطويها جائعة.

وربّما اصفرّ وجهها المضيء تفرّ منه الدماء.. يعكس بجلاء جوع[2] رهيب جوع يحيل الجسد الآدمي الىٰ حطام.

هكذا عاشت فاطمة تعاني شظف العيش ومرارة الحرمان.

وإذا كان أهل الأرض في غفلة عن جوع فاطمة.. آلامها وعذاباتها، فأن الملائكة كانت تمجّد صبرها العظيم وزهدها العميق.

---

(١) بحار الأنوار ٤٣ / ٩١.

(٢) الكنى والاسماء للدولابي ٢ / ١٢٢، لسان العرب ٤ / ٣٠٨، مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٣، الثغور الباسمة / ١١، اعلام النساء ٣ / ١٢١٦.

من أجل هذا أنزل الله عليها مائدة من السماء[1] تكون لها رزقاً وتكون لها مجداً .

ويتساءل علي وقد مسّه الجوع ، ورأىٰ عندها جفنة تفور بطعام مبارك قائلاً : انّى لك هذا ؟ ! فتقول فاطمة : هو من عند الله .. ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

(١) مقتل الحسين للخوارزمي / ٧١، نزهة المجالس ١ / ٢٢٤ ، ذخائر العقبىٰ / ٤٥ ، ينابيع المودّة / ١٩٩ ، كفاية الطالب / ٢٢٣ ، فضائل سيّدة النساء / ٦ ، البداية والنهاية ٦ / ١١١ ، بحار الأنوار ٤٣ / ٥٩ .

رحىٰ الأيام

وتدور رحىٰ فـاطمة . . وتـدور مـعها رحـىٰ الأيّـام . . وليس هناك مـن سـيّده مـثل فـاطمة . . نـموذج كـامل . . ومثال المرأة كما أراد لها الله .

العبادة والزهد والاخلاص في العمل ، وشظف العيش وصروف الأيام تحيل فاطمة الىٰ طيف ملائكي .

طيف لولا أهاب من طين لغادر هـذا العـالم الىٰ عـالم يزخر بملائكة ذوي اجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع .

اليدان الرقيقتان تديران رحى من صخر من جلمود . . وفاطمة تعمل الىٰ حدّ الاعـياء . . وخـصلة مـن شـعرها الفــاحم يــلامس الرحــىٰ . . الرحـىٰ تـدور . . وتـدور . . وتغمض العينان، وتتوقف الرحىٰ لحظات قبل تسـتأنف دورانها وفاطمة نائمة[1] !!!

---

(١) لسان الميزان ٥ / ٦٥ ، مقتل الحسين للخوارزمي / ٦٨ .

لقد هبطت الملائكة من أجل أن تغفو فاطمة بسلام وتبقىٰ الرحىٰ تدور[1].

وربّما بكىٰ رضيع لها في المهد، وأمّه واقفة تصلّي في المحراب فيتهادىٰ المهد تحرّكه[2] الملائكة من أجل فاطمة.

وتذوب فاطمة في حبّ الله.. تنصهر في العبودية له وحده حتىٰ لا تجد ذرّة في كيانها لغير فاطر السموات والأرض.

وحتىٰ بات الله يرضىٰ لرضاها ويغضب إن غضبت[3] فاطمة.

خلق الله مريم وكفّلها زكريّا، وخلق الله فاطمة.. وكفّلها محمداً صلى الله عليه وآله.

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ٣/٣٤٨ـ ٣٨٥.

(٢) مناقب ابن شهراشوب ٣/ ٣٥.

(٣) مستدرك الحاكم ٣/ ١٥٣، التدوين للعلّامة اليافعي ٣/ ٤٢، أسد الغابة ٥/ ٥٢٢، ذخائر العقبىٰ / ٣٩، التذكرة / ٣٢٠، كفاية الطالب / ٣١٩، ميزان الاعتدال ٢ / ٧٢، نظم درر السمطين / ١٧٧، كنز العمال ١٣/ ٩٦، اخبار الدول / ٨٧، الثغور الباسمة / ١٥، خصائص السيوطي ٢ / ٢٦٥، الأصابة ٤ /٣٦٦.

ولم يكن هناك من إنسان احبّ[1] الىٰ محمد من فاطمة كانت روحه التي بين جنبيه[2].

من أجل هذا كان سيدنا محمد ﷺ إذا ودّع أهله كانت فاطمة آخر من يودّع، فاذا عاد من سفر له كان أول[3] من يقبّل فاطمة، يشمّ فيها رائحة الجنّات.. جنّات الفردوس.

أيّة سيّدة هي فاطمة لتبلغ كل هذا السموّ حتىٰ تندكّ في ذات الله، وتحظىٰ بحبّ رسول الله.

وأيّة إمرأة هي فاطمة.. يكاد من يراها ببصره وبصيرته.. بعينيه وقلبه يحسبها مثالاً منحوتاً من نور..

حورية هبطت من دنيا الحوريات لتجوس في الأرض عدد سنين.

---

(١) الترمذي ٢٤٧/١٣، ينابيع المودّة/١٧٢، ذخائر المواريث ١ / ١١١، وسيلة المآل / ٧٨، تحفة الاشراف ٢ / ٨٦، كنز العمال ٣ / ٩٤، البداية والنهاية ٧/ ٣٤١، التذكرة/٣١٦، الفائق ١/ ٢٦٩، تاريخ بغداد ٩/ ٦٢، تفسير ابن كثير ٨/ ٨٥.

(٢) ذخائر العقبىٰ / ٣٦، كنوز الحقائق / ١١٩، الجامع الصغير ٢ / ٢٩٤، رموز الأحاديث / ٥٤٤، الفتح الكبير ٢ / ٣٦٨، الأنوار المحمدية / ١٤٦، ينابيع المودّة / ٢٦٠، جالية الكدر / ١٩٤.

(٣) الروضة الندية للدمشقي.

وايّة روح تنطوي عليها فاطمة حتىٰ لتكاد تنسلّ من أهاب جسد نحيل ينوء بنفس نورانية لا يسبر غورها أحد.

ولقد عاد أبوها وبعلها من جهاد، فولج الأب حجرة ابنته فوجد عند الباب ستراً ووجد في جيدها قلادة وفي أذنيها قرطين.. فغادر الحجرة من أسىً.

وعرفت فاطمة سرّ الغضب النبوي..فانتزعت قلادتها.. والقرطين.. والستر وتصدقت في سبيل الله.

وانقشعت السحب عن وجه النبي فقال: فداها أبوها.. فداها أبوها.. فداها أبوها.. ليست الدنيا من محمد ولا آل محمد. فما كان لفاطمة أن تلبس لبس الجبابرة[1] وما ينبغي لها.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ١٥٢، ١٥٣،

فدك .. هدية السماء الىٰ فاطمة

ونصر الله رسوله في خيبر ، وأعطىٰ فدكاً الىٰ[(1)] فاطمة؛ هدية من عنده مباركة طيبة .

ولم تكن فدك أرضاً للنخيل .. كانت وطناً .. كانت كل الوطن الإسلامي .. تنمو بنموّه ، وتضام وبضيمه .

وتغيب فاطمة .. تنصهر في محرابها بين يدي الوجود الواسع الكبير .. تغيب فلا يظهر منها الّا ما يشعّ من بين سطور الآيات .. أو ما يلهج به سيّد الكائنات ، أو يشفّ من شذىٰ روحها في المنعطفات .. منعطفات التاريخ .

مستورة هي فاطمة .. في هدوء القمر وسطوع الشمس كُفرت غماماً[(2)] .. وليل قصّتها يلامس جفنة

---

(1) شرح ابن ابي الحديد ١٦ / ٢٧٤ ، الاحتجاج للطبري ١ / ١٢١ ، كشف الغمّة ٢ / ١٠٤ ، نهج البلاغة ك ٤٥ .

(2) مناقب ابن شهراشوب ٣ / ١٣٢ ، البحار ٤٣ /٦ ح ٧ ، عوالم العلوم ٦/ ٢١ .

العجين ووجهها الأزهر يشبه وجه الانبياء[1].

مستورة هي.. كما البنفسج.. حياء وتواضع.. شذاه في كل مكان هو فيه وشخصه لا يعرف له مكان.

إبحث عن فاطمة فلن تجدها في الاسواق ولا في أندية اللغو ولا تحت الاضواء...

فاطمة في المحراب.. ساكنة أو تتلو الآيات...

قانتة لله.. وجهها يضيء للسماء.. يتألق في عالم الوجود.. نقطة مغمورة بالضوء.. ضوء عجيب ليس من شمس ولا من قمر..

ضوء يشبه ما يسطع في النفوس المؤمنة، والقلوب المطمئنة والصدور المفعمة بالسلام.

وتدور الايّام.. وفاطمة تصلّي في المحراب قانتة لله، وربّما ذهبت الىٰ سفوح أحد تزور الشهداء، فتجثو عند سيّد الشهداء تترحم عليه[2] وتستغفر له.

وفي مكة لما جاء نصرُ الله والفتح انتصرت لبعلها لا تأخذها في الله لومة اللائمين.

---

(١) كشف الغمّة ١ / ٤٧١، البحار ٤٣ / ٥٥.

(٢) التهذيب ١ / ٤٦٥ ح١٦٨، البحار ٤٣ / ٩٠ ح١٣.

وفي الغدير .. غدير خم ، وقد عادت من حجة الوداع سمعت أباها يهتف في سمع التاريخ : من كنت مولاه فهذا علي مولاه .. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1] .

غابت فاطمة الاّ ما شعّ من اسمها في الآيات ..

في المباهلة ، وقد جاء الموكب من نجران يجادل النبي في طبيعة المسيح .

فقال الله لرسوله : «قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»[2] .

فظهرت فاطمة من بين نساء الدنيا تباهل الوفد النصراني[3] .

ولعلّ الاسقف رأي في فاطمة مريم ابنة عمران .

وشعّ اسمها في سورة الدهر .. سورة الانسان .. لما

---

(١) أسنىٰ المطالب / ٤٩ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) أرجح المطالب / ٥٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٣ ، السيرة الحلبية ٣/ ١١٢ ، البيهقي ٧ / ٦٣ ، احقاق الحق ٩ / ٧٦ ، الصواعق المحرقة / ٩٣ ، البداية والنهاية ٥ / ٩٣ ، ينابيع المودة / ٥٢ .

صامت فاطمة وفاء بالنذر ، فهبط جبريل يحمل[1] «هل أتىٰ» هدية من عند الله . . ادّخرها لعباده الابرار . .

في جنّة عرضها كعرض السماء وآنية من فضة . . وقوارير . . ومن كل شئ الاّ من حور العين فلم يأت لهن ذكر . . ربّما إكراماً لفاطمة . . اجلالاً لحورية الأرض .

(١) نوادر الاصول / ٦٤ ، أسباب النزول / ٣٣١ ، الكشاف ٢ / ٥١١ ، مناقب الخوارزمي / ١٨٠ ، تفسير الرازي ٨ / ٢٧٦ ، شرح ابن ابي الحديد ٣/ ٢٥٧ ، الكفاية للكنجي / ٢٠١ ، تفسير البيضاوي ٢ / ٥٧١ ، الرياض النضرة ٢ / ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، بهجة النفوس ٤ / ٢٢٥ ، تفسير الخازن ٤ / ٤٥٨ ، تفسير البغدادي ٤ / ٣٥٨ ، المواقف ٣ / ٢٧٨ ، الاصابة ٤ / ٣٧ ، الدرّ المنثور ٦ / ٢٩٩ ، تفسير الرازي ٨ / ٣١٨ ، روح البيان ١٠ / ٢٦٨ ، فتح القدير للشوكاني ٥ / ٣٣٨ ، نور الابصار / ١٢ ـ ١٤ ، جواهر الكلام / ٥٦ .

نداءات الرحيل

ويدوّي نداء الرحيل الىٰ الملكوت الأعلىٰ ، فجسد النبي الكريم يغلي من الحمّىٰ .

وتلتزم فاطمة أباها . . تتألم لآلامه وتذرف في الدموع غزيرة من أجله .

تتذكر فيه امّها الرؤوم خديجة . .

تتذكر الدفء والحبّ .

ومنذ هوىٰ النبي في الفراش وابنته قربه لكأنها تحاول أن تدفع عنه غوائل الموت .

لا يعرف آلام النبي[1] الّا فاطمة ، لقد شهدت اللحظات الأخيرة من حياة أعظم الانبياء .

وأراد النبي أن يسرّي عن ابنته . . ان يزيح عن قلبها

---

(١) الذهبي في المنتقىٰ / ١٧٨ ، الاصابة لابن حجر .

كلّ هموم الفراق الوشيك..

ها هو يخبرها أن أسرع أهل البيت[1] لحوقاً بـه.. لن تمكث الاّ اياماً معدودات ثم يلتئم شملها مع الاحبّة.

وسمع علي اصواتاً ملائكية[2].. فيها صوت حـزين لعلّه كـان صـوت جـبريل وكـانت فـاطمة تـودّع أبـاها العظيم..

تودّع الإنسان الذي كـان حـلقة الوصـل بـين الأرض والسماء.

لن يهبط جبريل بعد الآن، وهتفت فاطمة: انقطع عـنّا خبر السماء[3].

وعـندما عـرجت الروح الىٰ بـارئ الروح؛ قـال عـلي أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله اليه.

ونادت الزهراء بلوعة فـيها يـتم مـرير: واأبـتاه! الىٰ جبريل ننعاه، واأبتاه أجاب ربّاً دعاه.

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٢١٩، طبقات ابن سعد ٢ / ٣٩، صحيح مسلم ٤ / ١٠٩٥، بحار الانوار ٢٢ / ٤٧٠، ارشاد المفيد / ٨٨.

(٢) البحار ٢٢ / ٤٩٠.

(٣) الذهبي في المنتقىٰ / ١٨٧، مودة القربىٰ للهمداني / ١٠٣.

لقد ولّىٰ زمن السلام ، وانقطع بموت محمد ﷺ ما لم ينقطع بموت غيره[1].

وستغادر الفرحة فاطمة ، ولن يرىٰ أحد لفاطمة ابتسامة بعد الآن[2] .. الاّ مرّة واحدة عندما كانت على وشك اللحاق[3] بابيها الراحل.

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) حلية الاولياء ٢/ ٤٣، الثغور الباسمة / ١٥، مقتل الحسين للخوارزمي / ٧٩، ذخائر العقبىٰ / ٥٣.

(٣) انساب الاشراق/ ٤٠٥.

نظم درر السمطين/ ١٨١.

نور الابصار/ ٤٢.

عذابات فاطمة

ويرحل الأب العظيم مخلّفاً في قلب ابنته أعمق جرح يسدّده القدر.

كان محمد الأب.. الحضن الدافئ.. الظلال الوارفة.. الهواء الذي تتنفسه.. فاذا الدنيا هجير.. واذا الوجود ظلمات تتراكم بعضها فوق بعض.

آه.. كيف طابت للحواريين أن يودعوا الثرىٰ شمس الوجود؟!

كيف طابت النفوس أن تحثو التراب علىٰ وجه أضاء التاريخ والإنسان؟!

قالت فاطمة تخاطب اصحاباً لمحمد ﷺ: اطابت نفوسكم أن تحثو على رسول الله التراب[1]؟!

وراحت تملأ صدرها من شذىٰ التراب الطاهر.. ان

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٤٠، البخاري ٥/ ١٥.

فيه عطر الوجود وأريجه الخالد[1] ، وفي فقده مصيبة تحيل النهار الىٰ ليلٍ[2] غارقٍ في الظلمات .

وتتوالىٰ الطعنات . . فاذا الذين كانوا حول الرسول بالأمس ينصرفون اليوم .

يسرعون الىٰ «سقيفة»[3] للاستيلاء علىٰ سلطان محمد ﷺ . . وعلت الاصوات بعد ان غاب محمد ﷺ . . بعد ان سكت محمد . .

وتهدر الخطب في غياب محمد ولو كان شاهدها لم تكثر الخطبُ[4] .

وفيما كان الحواريون منهمكين في تجهيز الراحل العظيم أسفرت السقيفة عن أول فلته[5] في تاريخ الإسلام .

وتخرج فاطمة تحاول استرداد الخلافة المغتصبة . . كانت تخرج ليلاً فتطوف علىٰ بيوت الأنصار ، ولكن دون

---

(١) مسند أحمد ٢ / ٤٨٩ .

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣٤٠ .

(٣) سقيفة بني ساعدة مركز اجتماعات الأوس والخزرج .

(٤) الفائق ٣ / ٢١٧ .

(٥) الطبري ٢ / ٢٣٥ .

جدوىٰ فلقد سبقت البيعة للأول ؛ ولو جاء علي ما عُدل به

فيقول علي : أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟!

وتقول فاطمة : «ما صنع أبو الحسن الّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[1] .

ويتحول بيت فاطمة الىٰ قلعة للمقاومة يحتمي به الحواريون ممّن رفضوا باصرار أن يدوسوا تراث محمدﷺ أو يتناسوا أحاديثه .

وتشتد هجمات المغيرين يريدون لعلي أن يبايع ، وكانت صيحات عمر بن الخطاب تدوّي وتهدّد باضرام النار في منزل فاطمة[2] .

وهتفت فاطمة بالمغيرين : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم علىٰ أهل بيت رسول الله[3] !

ويقاد علي بقوّة الحديد والنار الىٰ البيعة ، ويقال له :

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٢ .

(٢) تاريخ ابن شحنه هامش الكامل ٧ / ١٦٤ ، شرح ابن ابي الحديد ٢ / ٥٦ ـ ٦ / ٤٨ .

(٣) شرح ابن ابي الحديد ١ / ١٣٤ ـ ٢ / ١٩ .

بايع فيقول : فاذا لم افعل ؟ فيقال له : إذن نضرب عنقك ، فيقول الرجل المقهور : اذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله[1].

وعندما لاح ضريح النبي هتف علي وهو يبكي : يا بن أم: ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .

وفي لحظات مثيرة هبّت فاطمة ، وقد أشرعت سلاح الأنبياء . . رفع الكفّين الىٰ السماء .

خرجت وقد أخذت بالحسن والحسين وانطلقت الىٰ قبر الرسول . وهتف سلمان وقد رأىٰ حيطان المسجد تتزلزل : يا سيدتي . . ان الله تعالىٰ بعث أباك رحمة للعالمين، وخفضت بنت النبي يديها بعد أن أوشكت أن تستمطر اللعنة علىٰ الظالمين[2] .

وقالت لعمر : ما والله يابن الخطاب لولا أني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له ، لعلمت أني ساقسم علىٰ الله ثم أجده سريع الاجابة[3] .

---

(١) الغدير ٧/ ٧٥ـ٧٨.

(٢) بيت الأحزان / ٨٧.

(٣) الكافي ١ / ٤٦٠ .

ولولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرخت الى ربّي[1].

والله لا أدعكم تجرّون ابن عمي ظلماً[2].

والتفتت الىٰ الخليفة قائلة: «والله لا دعونّ الله عليك في كل صلاة»[3].

وتعود فاطمة مع علي المنزل.. وفاطمة تبكي.. تبكي: فقد النبي وظلم الوصي[4].

آه.. لو تركوا الحق لأهل الحق.. وابتغوا عترة النبي ما اختلف في الله اثنان[5]!

وكانت عاقبة الذين اساءوا السوء أن اغتصبوا الحق، فاضحت الخلافة نهباً للطامعين والمغيرين[6].

وتتوالىٰ الغارات.. وتغتصب فدك والميراث وتصادر أحاديث وآيات.

---

(١) علم اليقين ٢ / ٦٨٧.

(٢) الامامة والسياسة ١ / ١٤.

(٣) المصدر السابق ١ / ١٣.

(٤) البحار ٤٣ / ٢١٨، ١٥٦.

(٥) البحار ٣٦ / ٣٥٣.

(٦) وسائل الشيعة ومستدركاتها لأبي النصر استاذ الأدب العربي في القاهرة ١ / ١٣.

فدك . . أرض الصراع

ولدت فدك الرمز.. خرجت عن أهاب القرية ، واشجار النخيل.

أضحت أرضاً لمعركة ضارية وصراع مرير .

وهكذا أرادت فاطمة ؛ فلقد أُغتصب الحق والميراث ، وديست آيات وأحاديث .

وجاء من أخبرها أن الخليفة طرد من أرضها عمّالها ، فـ«لاثت خمارها علىٰ رأسها ، واشتملت بجلبابها ، واقبلت في لمّة من حفدتها ، ونساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتىٰ دخلت علىٰ ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ، فنيطت دونها ملاءة ، فجلست ثم أنّت انّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتجّ المجلس»[1] .

---

(١) بلاغات النساء / ١٧٥ ، شرح ابن ابي الحديد ١٦ / ٢٥٢ ، لسان العرب :

محمود هو الله من اجل ما أنعم علىٰ الإنسان . . وهبه نعمة الحياة وله الشكر إذ قذف في اعماقه العلم والمعرفة.

وقد عمّت نعمه حتىٰ لا يمكن لأحد أن يعدّها أو يحصيها بل لا يمكنها أن يدركها أو يحيط بها علماً .

جعل الشكر لها زيادة ، وبركة ونماء وازدهار .

وشهادة له سبحانه انه واحد أحد . . مطلق لا نهائي . . . شهادة تضيء القلب والفكر والضمير . .

تستحيل رؤيته ، فالابصار عاجزة . . ويستحيل تصوّره فاللغة عاجزة عن وصفه ولو في أوهام الخيال .

خلق المادّة . . خلق الوجود فلا وجود كائن من قبل . . ولا مثال له فيما مضىٰ . . . وحدها مشيئته وإرادته وقدرته .

لا حاجة له في ما خلق .

ولا فائدة له في ما صوّر . .

✧ مادّة : «لم» ، النهاية لابن الامير : مادّة : «لم» ، مروح الذهب / ٣١١ ، أهل البيت التوفيق أبو علم / ١٥٧ ، اعلام النساء ٤ / ١١٦ ، كشف الغمة ١ / ٤٧٩ ، البحار ٨ / ١٠٨ ، النص والاجتهاد / ١٠٦ .

المراجعات / مراجعة ١٠٣ .

الاّ من أجل أن ترى حكمته. فنخشع.. وتتجلّىٰ قدرته فنخضع.

والطرق واضحة.. ايمان وجحود.. طاعة وتمرّد... ثواب وعقاب.

شهادة لمحمد بالرسالة والنبوءات، واخبار السماء.. سماه الله قبل أن يجبل خلقته.. واختاره قبل الرسالة واصطفاه في عوالم مستورة بالغيوب.. حيث الاشياء مقرونة بالعدم..

تبارك ربّنا عالماً بالنهايات.. محيطاً بحوادث الأزمنة القادمة، ومخاضات الايّام.

وكانت الأرض ظلمات بعضها فوق بعض، والمجتمعات البشرية ضائعة ممزّقة.

تخشع للنار إذ تتطاير شرراً، وتعكف علىٰ أوثان منحوته من حجر وصخور.

واذا بالله الذي أودع اسمه في الضمير والفطرة والوجدان وفي عقل الإنسان؛ الخالق الذي لا يعبد.

حتىٰ اشرقت شمس محمد.. فتمزقّت حجب الظلمات وتدفقت الينابيع في القلوب.. ينابيع الايمان والأمل.

وسعد الناس جميعاً، فقد أضيء الطريق.. الطريق

المستقيم .

ويـرحـل مـحمد ﷺ تـتوفّاه المـلائكة الىٰ بـارئه . . ليستريح من عـناء الأرض وويـلاتها . . الىٰ عـالم مـفعم بالرضا والسعادة فبارك يا الهنا محمداً الأمين واغـمره بالسلام .

ومن وراء حجاب تلتفت الزهراء الىٰ حشود الانصار والمهاجرين ؛ ويستمر تيار الكلمات وهـي تـنبعث مـن أعمق نقطة من قلب الزهراء :

لقد رحل محمد . . وترك بين امّته مـيراث السـماء . . قرآناً فيه آيات بيّنات . . تضيء معالم الطريق ، وتـرسم شريعة الله في أرضه وعباده .

فالايمان طهر من رجس الأوثـان ، والصـلاة تـغسل قـلب الإنسـان مـن التكبّر . . والزكـاة نـمو وازدهـار ، والصيام تجذير للاخلاص في القلب .

والحج صرح تنهض فوقه معاني الأديان .

والعدالة أنسجام للقلوب . . آصرة بين النفوس .

وطاعة أهل البيت ، نظاماً شاملاً للحياة . والاعـتراف بامامتهم أماناً من التمزّق والتشرذم والتيه .

والجهاد سوراً للإسلام والصبر سلاحاً للـمقاومة . .

مقاومة كل صروف الحياة وتقلّبات الزمن.

فيا أيّها الناس: اعلموا اني فاطمة.. وأبي محمد.. كلمتي واحدة ثابته.. عن الخطيئة في منأىٰ.. ومن الشطط في مأمن.

ويستمر صوت الزهراء[1] يضع النقاط علىٰ الحروف ويزيح عن الحقائق ظلمات..

لتبقىٰ كلماتها في مسجد والدها العظيم حيّة؛ ماتزال حتىٰ اليوم تستفهم التاريخ والحضارة والإنسانية.

ولم يكن اغتصاب فدك سوىٰ رمز لإغتصاب كل الوطن الإسلامي.

ولم يكن دفاعها عن علي الاّ لتشير بيدها الرقيقة إليه، الىٰ مركز الثقل في رسالة الأب الراحل؛ حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله.

وتعود فاطمة الىٰ منزلها مقهورة.. لقد قضي الأمر ولم يبق لها الاّ الصبر أو القبر.

وتقع عيناها علىٰ قميص أبيها العظيم.. فتغرق في

---

(١) ما ورد لا يمثل النص الأصيل لخطبة سيدتنا فاطمة التاريخية.. انها مجرّد صياغات للمعاني فقط.

طواياه وعوالمه حتىٰ لا تشعر بما يجري حولها ؛ ويرىٰ علي ذلك فيغيّب قميص الذكريات حتىٰ لا تموت فاطمة[1].

وتتأوّه فاطمة مما تلقاه من القهر والاذلال والهوان.

ويبكي علي من أجلها ثم ينصحها بالصمت ، وأن تطوي صفحاً عن فدك وغير فدك فان «ما اعدّ لك خير مما قطع عنك فاحتسبي الله» .

فلم تزد فاطمة إن قالت : حسبي الله[2] .

وهكذا سكتت فاطمة لم يبق لها سوىٰ انتظار اللقاء . . لقاء الحبيب لم يبق لها سوىٰ البكاء . . بكاء الحبيب .

و يبني لها علي بيتاً لأحزانها في البقيع .

وليشهد البيت الذي بناه علي من جريد النخل أحزان فاطمة[3] في ايّامها المعدودات . . احزان سيّدة علىٰ وشك الرحيل.

---

(١) مقتل الحسين / ٧٧، أهل البيت لتوفيق أبو علم / ١٦٦ .

(٢) فاطمة من المهد الىٰ اللحد/ ٤٢٣ ، ٤٣٣، أم الامامة للنائيني / ٣٠٣.

(٣) أهل البيت توفيق أبو علم / ١٦٧ ، تاريخ المدينة ٢ / ٩٥، فاطمة من المهد الىٰ اللحد / ٤٨٤.

وتغيب[1] فاطمة عن دنيا الآخرين ، فلا يسمع لها صوت الّا ما يسمعه العابرون قرب البقيع من آهات إمرأة مقهورة ..

امرأة خسرت الدنيا بعد أن ربحت نفسها . فما جدوىٰ أن يربح الإنسانُ العالمَ وقد خسر نفسه ؟ !

---

(١) أهل البيت توفيق أبو علم / ١٦٧ .

سطوع الروح . . ذوبان الجسد

وتذوي وردة الحياة في دنيا فاطمة . . وتشتد روحها سطوعاً .

وها هي علىٰ اعتاب الرحيل . .

لم يعد أحد يراها تذهب الىٰ البقيع .

فلقد ضعف الطين عن حمل الروح العظيم .

وجاءت نسوة من الأنصار والمهاجرين أردن عيادتها والسؤال عن صحتها فقلن لها : كيف اصبحت من علّتك يا ابنة رسول الله؟

ولكن فاطمة وهي تضع أصبعها علىٰ العلّة الكبرىٰ ، والجراح النازفة ، فتدين عصرها . . عصرها الذي خذلها فُخِذل الحق . . وقهرها فقُهِر .

أعلنت فاطمة إدانتها لدنياهنّ . . أعلنت غضبها من أولئك الرجال . . بعد أن سبرت غورهم .

وادركت استغراقهم في اللعب بعد الجدّ.. بعد أن لمست في قلوبهم الانحراف «لبئس ما قدّمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم»[1].

ولكنّ فاطمة لم تسكت الّا بعد أن حمّلتهم المسؤولية فيما حدث ويحدث.

سوف لن يغسلوا العار الذي لحق بهم بخذلان فاطمة.. الذي يعني خذلان الحق.. وقهر الحقيقة.

فاقصاء علي لا يعني اقصاء رجل.. انه يعني خسراناً مبيناً.. يعني حرمانهم من ينابيع الخير.. حرمانهم من ميراث الانبياء.

«ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض»[2].

لقد بدأ زمن الكوارث.. لقد لقحت الجراثيم.. ولم يبق الّا الترقب.. ولسوف تنبعث الجراح دماً عبيطاً.. ويأتي زمن الخرائب.. وسوف تكتشف الأجيال.. خطايا الأجداد.. ستنبعث الخناجر المسمومة.. والسيوف

---

(١) المائدة: ٨٠.

(٢) الاعراف: ٩٤.

القاسية .. خناجر لا تعرف الّا الطعن .. وسيوف لا تكفّ عن الذبح .. وستصبح هذه الأمّة أوصالاً مقطّعة وأحاديث.

ويومذاك لا ينفع ندم ولا بكاء، فياحسرة[1] للعباد.

ويمتنع بلال عن رفع الأذان اشفاقاً علىٰ فاطمة ففي كل مرّة يذكر فيها اسم محمد.. تسقط فاطمة غائبة عن الوعي وتطلب منه الزهراء أن يرفع الأذان فيقول: يا سيدة النسوان انني اخشىٰ عليك مما تنزلينه بنفسك[2].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣ / ١٥٨، أعلام النساء ٤ / ١٢٣، كشف الغمّة / ١٤٧، شرح ابن ابي الحديد، بلاغات النساء، دلائل الإمامة، معاني الاخبار لابن بابويه، الاحتجاج للطبرسي، الأمالي للطوسي.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ / ١٥٧، من لا يحضره الفقيه/باب الأذان.

غضب السماء

ويسعىٰ الشيخان يسترضيان فاطمة .. فلعلّ الزهراء فاطمة ترضىٰ عنهما . أوليس رضا فاطمة هو رضا محمد ، ورضاه رضا الله ، وحبها حبّ لمحمد وحبّه حبّ لله ؟

أجل .. اعترف الحاكمون .. لقد سمعنا ذلك من رسول الله ..

فتقول فاطمة حينئذ .. لتشهد السماوات والملائكة انّي غاضبة .. «ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه»[1] .

وتأتي أم سلمة لعيادتها فتسألها عن آلامها فاذا هي شكوىٰ من ظلم ، وتأوّهات من أحقاد بدرية[2] وثارات أحدية مختبئة وراء ستائر النفاق .

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ٤، اعلام النساء ٣ / ٣١٤، رسائل الجاحظ / ٣٠٠.

(٢) مناقب ابن شهراشوب ٢ / ٢٠٥.

وتتدهور صحتها من سيئ إلىٰ أسوأ ويذبل جسدها النحيل حتىٰ لم يعد لروحها العظيمة فيه قرار..

وحتىٰ يعود «العباس» ولم يحظ بزيارتها لثقل حالها[1].

ها هي الزهراء تخطو باتجاه النهاية.. نهاية كل الحيوات وحتىٰ لا تتحطم القلوب الصغيرة قالت لابنيها سبطي محمد إذهبا الىٰ المسجد[2]..

واستغرقت في صلاة الرحيل.

وقالت لأسماء استريني سترك الله.. وضعت «زوج الطيار» لها نعشاً كانت قد رأته في الحبشة في الجانب الآخر من البحر الأحمر..

فكانت فاطمة أول من صُنع لها نعش[3] في تاريخ

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/ ٢٠٩.

(٢) مودّة القربىٰ للهمداني/ ١٣.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٧٥٢، السنن الكبرىٰ ٤/ ٣٤، حلية الأولياء ٢/ ٣٤، مقتل الحسين للخوارزمي/ ٨٢، ذخائر العقبىٰ/ ٥٣، كنز العمال ١٦/ ٢٨٩، تاريخ الإسلام ٢/ ٩٤، الثغور الباسمة/ ١٣، وفاء الوفي للسهمودي ٢/ ٩٣، المنهل العذب ٩/ ٣٠، اعلام النساء ٣/ ١٢٢١، وسيلة المآل/ ٩٢.

الإسلام .

ولما رأت فاطمة الزهراء نعشها ابتسمت[1] لأول مرّة في عمرها القصير بعد رحيل الرسول ﷺ . .

محجبة هي فاطمة . . محتشمة هي الزهراء في حياتها ووفاتها ؛ تدعو بالستر لمن يسترها .

وتغتسل «الطاهرة» استعداداً للرحيل ، ثم توصي ألّا يغسلها بعد الموت الّا علي واسماء[2] .

وفي اللحظات الأخيرة سمعت الزهراء تتمتم :

السلام علىٰ جبريل .

اللــــهم فـــي رضــوانك . . وجــوارك . . ودارك دار السلام[3] .

(١) مقتل الحسين للخوارزمي / ٨٢ ، مفتاح النجاة للبدخشي / ١٠٣ ، الثغور الباسمة للسيوطي / ١٧ .

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٣ / ٣٩٦ .

(٣) بيت الأحزان .

الرحيل المجهول

وهكذا رحلت فاطمة ودّعت الدنيا بكل ما فيها من ويلات، وعذابات.. وفي تلك اللحظات انتهت آلام فاطمة.. لقد رحلت الىٰ دار السلام ؛ وعرجت الروح الطاهرة بيضاء.. بيضاء.

عادت الحورية الىٰ أرض الوطن.. ذهبت الىٰ السماء.. ولتدوّي المناحة في كوكب الأرض..

وكان الذين غضبت عليهم فاطمة في غفلة، فلقد أوصت أن تدفن ليلاً[1] لتبقىٰ علامة سؤال محفورة في

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ٢ / ٣٥٣، المجالس السنيّة ٥ / ٩٥، صحيح البخاري ٥ / ١٣٩، سنن البيهقي ٦ / ٣٠٠، تاريخ الامم والملوك ٢ / ٤٤٨، كفاية المطالب / ٢٢٥، شرح ابن ابي الحديد ٢ / ١٨، تيسير الوصول للشيباني ١ / ٢٠٩، انساب الاشراف/ ٤٠٥، إكمال الرجال للتبريزي/ ٧٣٥، شذرات الذهب ١ / ١٥، مرآة الجنان لليافعي / ٦١، انسان العيون ◄

ذاكرة الأجيال.

وسيبقىٰ السؤال عن البقعة التي ضمت فاطمة خالداً علىٰ مرّ الأيّام.. يبقىٰ إدانة للذين قهروها وصادروا كل حقوقها.

فليس هناك من يعرف حتىٰ اليوم اين يمكن لنساء العالمين أن يزوروا سيّدة النساء؟

فقائل يقول دفنت في بيتها[1] وقال آخرون أنها في بقيع الغرقد.. وفي كل الاحوال سيبقىٰ مرقدها محفوراً في قلب التاريخ وفي افئدة العاشقين.. من الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا.

بهذا اوصت فاطمة.. أن تدفن سرّاً.. ليبقىٰ موقفها سرّاً من أسرار السماء.. والتاريخ..

لم يجد علي سوىٰ رقعة عند رأسها.. رقعة مكتوب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أوصته فاطمة بنت

< المعروف بالسيرة الحلبية ٥٣ / ٣٦١، بالسيرة الحلبية ٥٣ / ٣٦١، الثغور الباسمة / ١٥، خلاصة تذهيب الكمال / ٤٢٥.

(١) تاريخ الخميس ١ / ٣٤٧، شفاء الغرام ٢ / ٣٦٠، عمدة الاخبار / ١٢٩.

رسول الله ﷺ أوصت وهي تتشهد؛ أن لا إله إلّا الله.. وأن محمداً عبده ورسوله وان الجنة حق.. والنار حق.. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.

يا علي أنا فاطمة بنت محمد.. زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة.. أنت أولى بي من غيرك.

حنّطني.. وغسّلني وكفّني وصلّ عليّ، وأُدفنّي بالليل.. ولا تعلم أحداً.. واستودعك الله.. الىٰ يوم القيامة»[١].

وهكذا أسدل الستار علىٰ حياة السيدة فاطمة الزهراء وكان أكثر فجيعة زوجها العظيم الإمام أبو الأئمة من أبناء فاطمة..

ها هو يفجع مرّة أخرىٰ.. ها هو يفقد رسول الله مرّة ثانية بفقده ذكراه الطاهرة.

لقد عادت الوديعة.. سيصبح الحزن سرمدياً.. وستطول الليالي.. ويا سيّد الخليقة.. «ستنبئك إبنتك» بكل عذاباتها وآلامها..

ويودّع علي حبيبه قائلاً:

---

(١) المجالس السنية ٢ / ٣٥٣، بيت الأحزان / ١٥٢، بحار الأنوار ٤٣ / ٢١٤.

«لكل اجتماع من خليلين فرقة»[1] ..

وستبقىٰ فاطمة الزهراء جوهرة السماء .. فهي ابنة محمد النبي .. مؤسس مجد الإسلام .. وهي أمّ محمد المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان .. فيعيد للإسلام مجده .. وقد قال سيد الكائنات محمد :

«المهدي من ولد فاطمة»[2] .

وستبقىٰ فاطمة زهراءَ .. زهراءَ قمراً في الأرض لأهل الأرض.. ونجمة في السماء لأهل السماء[3] .

---

(١) اعلام النساء ٣ / ١٢٢١ ، المجالس السنيّة ٥ / ٩٩ .

(٢) تاريخ الكبير للبخاري ٢ /ق١ ـ ٣١٦ ، المستدرك للحاكم النيسابوري ٤ / ٥٥٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٦٣ ، سنن ابي داود ٢ / ١٥١ ، المقاصد الحسنة للسخاوي / ٤٣٥ ، جالية الكدر للأبياري / ٢٠٨ ، الفتاوى الحديثية للملكي / ٢٩ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ / ٥٧٩ ، الحاوي للفتاوي ٢ / ٥٧ ، كنوز الحقائق للمناوي / ١٦٤ ، الصواعق المحرقة / ٢٣٥ ، تمييز الطيب من الخبيث للشيباني / ٢٢٠ ، اسعاف الراغبين / ١٤٧ ، الفتح الكبير / ٢٥٩ ، تاريخ الرقة / ٧٠ ، ميزان الاعتدال ١/ ٣٥٥ ، ذخائر المواريث ٤/ ٢٩٢ ، الفصول المهمّة/٢٧٦ ، مشكاة المصابيح ٣ / ٢٤ ، جواهر العقدين / ٤٣٢ ، ينابيع المودّة / ١٧٩ ، ذخائر العقبىٰ / ١٣٦ .

(٣) بحار الأنوار ٤٣ / ١٢ ، علل الشرائع / ٧١ باب ١٤٣ ، فاطمة من المهد الى اللحد / ١٣٢ .

حتى «اذا دكّت الأرض دكّاً دكا وجيء ربك والملك صفّاً صفّاً وجيء يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكر الإنسان وأنّىٰ له الذكرىٰ يقول يا ليتني قدّمت لحياتي»[1] ..

عندئذ تظهر فاطمة في عالم الغد علىٰ ناقة من نور تحفّها سبعون ألف حوراء وقد جاء النداء: «أن غضّوا أبصاركم حتىٰ تجوز فاطمة علىٰ الصراط»[2].

وتزفّ فاطمة الىٰ الجنّة، فتكون أول[3] الداخلين علىٰ ابيها سيّد الخليقة، فتدخل في عيشة راضية حينئذ يتحقق قول فاطر السموات والأرض: «يا ايتها النفس

---

(١) سورة الفجر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي / ٥٥، اخبار الدول / ٨٧، نظم درر السمطين / ١٨٢، ذخائر العقبىٰ / ٤٨، الفصول المهمّة / ١٢٩، نزهة المجالس ٢ / ٢٢٦، منتخب كنز العمال ٥ / ٢٢٦، الصواعق المحرقة / ١٨٨، وسيلة المآل / ٩٢، ينابيع المودّة / ١٩٩، إسعاف الراغبين / ١٩٠، تاريخ بغداد ٨ / ١٤١، لسان الميزان ٢ / ٣١٤، الروض الأزهر / ١٠٢، تاريخ دمشق ١٠ / ٣٢٦، ميزان الاعتدال ٢ / ١٤٤، حياة الحيوان ١ / ١١٧، الروض الأنف ٢ / ٣.

(٣) الخصائص الكبرىٰ ٢ / ٢٢٥، مقتل الحسين / ٧٦، نظم درر السمطين / ١٨٠، مودّة القربىٰ / ١٠٣، ميزان الاعتدال ٢ / ١٣١، لسان الميزان ٤ / ١٦، الفصول المهمّة / ١٢٧، السيرة الحلبية ١ / ٢٣٢، ارجح المطالب / ٢٤٨، كنز العمال ١٣ / ٩٥، ينابيع المودّة / ٢٦٠.

المطمئنة إرجعي الىٰ ربّك راضية مـرضية فـادخلي فـي عبادي وادخلي جنّتي».

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله[1].

وتبقىٰ فاطمة.. صوره مضيئة.. متوقدة في الذهـن تضمحلّ القرون.. وتبقىٰ..

تذوب السنون وتتوهج.. ففاطمة لا تسـتمد مـجدها من عناصر الأرض..

فاطمة حورية عاشت في الأرض.. معجزة السماء.. والسماء التي اختارت مريم ابنة عمران لتنجب المسيح عيسىٰ..

اختارت فاطمة.. لتقدّم الىٰ العالم أحد عشر كوكباً.

قوام نحيل.. ووجهه مضئ.. وهالة نور سماوي.. وعينان واسعتان.. مشحونتان بحزن الإنسان..

وأهداب مثقلة بالدموع..

وقلب طاهر كقطرة ندىٰ..

وحياء بنفسجة مفعمة بالعبير..

---

(١) البحار ٤٣/ ٥، ١٨.

تلك هي فاطمة .. تذوب القرون عند قدميها كما تذوب حبّات الملح علىٰ شواطئ بحر عميق.

وتبقىٰ فاطمة تتألق عبر الزمن..

وتبقىٰ فاطمة ما بقي للطهر معنىٰ.

وللورد شذىٰ.

وللأرض سماء.

وتبقى تتوهج في ضمير الإنسان..

لا لأنها بنت محمد..

ولا لأنها زوج علي..

ولا لأنها أم الحسن وأم الحسين.

تبقىٰ لسبب واحد فقط.

لأنها فاطمة..

فاطمة التي انتخبتها السماء..

سيدة لبنات حواء.

كمال السيد

المحتويات